المجلد السابع والعشرون للعام ٢٠٢٣م
حولية كلية اللغة العربية للبنين بجرجا

من الأساليب البلاغية في البيان النبوي وأثرها في المعنى حديث "أتدرون من المفلس" نموذجا

One of the Rhetorical methods in the prophetic statement and their impact on the subject The "You know who's bankrupt" talk is a model

بقلم الدكتور

محروس شحاتة أحمد حميد

مدرس البلاغة والنقد
بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا
جامعة الأزهر - جمهورية مصر العربية

الجزء الثاني (إصدار يونيو ٢٠٢٣م)

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية ٦٩٤٠/٢٠٢٣م

بسم الله الرحمن الرحيم

من الأساليب البلاغية في البيان النبوي وأثرها في المعنى حديث " أتدرون من المفلس" نموذجا

محروس شحاتة أحمد حميد

قسم البلاغة والنقد بكلية الدراسات الإسلامية والعربية للبنين بقنا ـ جامعة الأزهر ـ جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : MahrousHemid.4119@azhar.edu.eg

الملخص

جاء هذا البحث ليكشف عن الأساليب البلاغية التي اتسم بها البيان النبوي وأثرها في المعنى، وقد اتخذ البحث حديث" المفلس" نموذجا. وقد سلّط البحث الضوء على ما في الحديث من أساليب بلاغية ساهمت في تدعيم المعنى وكشْف الأسرار التي تضمّنها بين ثنايا كلماته ومفرداته وجمله، وما كان للأساليب من دوْر في إخراج التوجيه والإرشاد والنصح ــ الذي قصد المصطفى ﷺأن يرشد أصحابه ﷺوأمته إليه في قضية هامة تمس حياتهم في الآخرة ــ ؛ في إطار من الدقة والوضوح والظهور والعمق من خلال التراكيب والأساليب والخصائص البلاغية التي عمِلت على إظهار الغامض وإخراج المكنون. وقد اتبع البحث في الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على عرض الحديث كاملا، ثم تحليل المفردات والتراكيب للوقوف على الأساليب البلاغية وأثرها في تقوية المعنى وتأكيده. وقد كشف الحديث عن بلاغة المصطفى ﷺ في إيثار طريقة السؤال في الكلام؛ ليثير انتباه المخاطب، وينبه عقله، ويوقظ حسه، ويزيد من شوقه، ويقوي شعوره، ويستحضر كافة جوارحه في الإنصات نحو ما سيلقيه له من موعظة ونصيحة وتوجيه وإرشاد. كما كشف البحث عما حواه البيان النبوي من أساليب بلاغية جعلت كلام المصطفى ﷺ جامعا بين جلال المعنى وجمال اللفظ؛ فكانت العبارات سريعة الوصول إلى القلب، سهلة الولوج إلى فؤاد المخاطب والسامع.

الكلمات المفتاحية: الخصوصيات، البلاغية، البيان، النبوي، حديث، المفلس.

One of the Rhetorical methods in the prophetic statement and their impact on the subject
The "You know who's bankrupt" talk is a model

Mahrous Shehata Ahmed Hamid
Rhetoric and Criticism, Faculty of Islamic and Arab Studies for Boys, Al-Azhar University, Qena, Egypt.
Email: MahrousHemid.4119@azhar.edu.eg

Abstract

This research came to reveal the rhetorical methods of the Prophetic Statement and its impact on the subject, and the research took the "bankrupt" talk as a model. The research highlighted the recent rhetorical methods that contributed to the reinforcement of the subject and the detection of the secrets it contained between his words, vocabulary and sentences, and the role that the methods played in directing, guiding and advising - which Mustafi - Prayer of God upon Him- intended to guide his-God's satisfaction with them-owners and his nation in an important issue affecting their lives in the afterlife -; In a framework of precision, clarity, visibility and depth through compositions, methods and rhetorical properties that have worked to show mystery and bring out the machines. Research into the study followed the analytical inductive approach based on the full presentation of the talk, with the vocabulary and structure to identify the rhetorical methods and their impact on the strengthening and confirmation of the subject. Mustafa-Prayer of God upon Him-rhetoric was revealed in the rhetoric of the question; To raise the attention of the addressee, alert his mind, awaken his sense, increase his longing, strengthen his feeling, and conjure all his joys in listening to the sermon, advice, guidance and guidance he will give him. The research also revealed what the Prophet ' The ferries were quick to reach the heart, easy to access Fouad Al-Matif and Al-Sami.

Keywords:idiosyncratic,rhetorical,manifesto, prophetic, modern, bankrupt.

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة:

الحمد لله الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم، والصلاة والسلام على النبي الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

وبعد:ـ

فإن البيان النبوي زاخر بالأساليب والخصائصوالأسرار البلاغية التي ينبغي أن تكون مقصد ووجهة الباحثين؛ حتى يستخرجوا ما تميز به وانفرد من أسرار ودقائق بلاغية قيّمة، وهذا يحتاج منهم إلى جُهد جيد، وهمّة عالية؛ نظرا لما تفرّد به البيان النبوي من لطائف دقيقة، منها ما وقعت عليه عقول الباحثين، ومنها الذي لما تقع عليه العقول حتى الآن.

يقول الجاحظ عن الكلام النبوي" هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثر عدد معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف... ، استعمل المبسوط في موضع البسط، والمقصور في موضع القصر، وهجر الغريب الوحشي، ورغب عن الهجين السوقي، فلم ينطق إلا عن ميراث حكمة، ولم يتكلم إلا بكلام قد حف بالعصمة" . (١)

ويقول الرافعي في البيان النبوي"هو كلام كلما زدته فكرا زادك معنى، وتفسيره قريب كالروح في جسدها البشري، ولكنه بعيد كالروح في سرها الإلهي" . ويقول أيضا" ألفاظ النبوة يعمرها قلبَ متصلَ بجلالخالقه، ويصقِلها لسان نزل عليه القرآن بحقائقه، فهي إن لم تكن من الوحي ولكنها جاءت من سبيله وإن لم يكن لها منه دليل فقد كانت هي من دليله،مُحكمَة الفصول،

(١)البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق. عبد السلام هارون ٢/ ١٧، طبعة/مؤسسة الخانجي، القاهرة، طبعة/ خامسة ١٤٠٥هـ.

حتى ليس فيها عروة مفصولة، محذوفة الفضول، حتى ليس فيها كلمة مفصولة... ، وإذا أراك القرآنُ أنه خطاب السماء للأرض أراك هذا أنه كلام الأرض بعد السماء".[١]ويقول الزيات" إن بلاغة الرسولﷺمن صنع الله، وما كان من صنع الله تضيق موازين الإنسان عن وزنه، وتقصر مقاييسه ع مقياسه، فنحن لا ندرك كنهه وإنما ندرك أثره... ، ذلك أن البلاغة النبوية هي المثل الأعلى للبلاغة العربية، وإذا كان كتاب اللهﷻ؛ كتاب البيان المعجز؛ فإن كتاب رسول اللهﷺ سنة هذا البيان، وإذا كان البلاغ صفة كل رسول؛ فإن البلاغة صفة محمد ﷺ وحده" . [٢]

ومن هذا المنطلق؛ أراد الباحث أن يقف عند بعض الأساليب والخصائص البلاغية، واللطائف البيانية التي وردت في البيان النبوي، وقد اختار البحث حديث" أتدرون من المفلس" ؛ ليكون مقصد الدراسة؛ ذلك أنه من الأحاديث المشهورة التي اشتملت على جملة من النصائح والمواعظ... في إطار تحُفه الأساليب البلاغية والأسرار واللطائف الدقيقة التي تحتاج للدراسة والكشف.

ولطالما تشوّق الباحث واشتاق إلى الكتابة في سنة المصطفى ﷺ ولكن لم يجد في نفسه الأهلية الكاملة أن يكتب في سنة الحبيب ﷺيوم أن كان في مرحلتي الماجستير والدكتوراه، ولما منّ الله ﷻووفق وأعان... واجتاز الباحث هاتين الخطوتين؛ أراد أن يُشبع غايته القوية، ورغبته الملحة،

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، صـ ٢٧٩، طبعة/ دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة/ ثامنة ٢٠٠٥م.

(٢) وحي الرسالة للأستاذ. أحمد حسن الزيات ٢/ ٢٢٩، طبعة/ دار الثقافة، بيروت، طبعة/ عاشرة ١٩٨٠م.

وخواطره التي تشُده شدا نحو سنة المصطفى ﷺ . وما زال البحث يرى في نفسه عدم القدرة والدراية الكافية للكتابة في سنة الحبيب ﷺ، ولكن شوقهيكاد يغمره، وحبه للكتابة عن شيء في السنة النبوية؛ بات لا يمكن أن يدفعه دافع، فحُق للمصدور أن ينفث نفثات؛ لعل فيها الشفاء لما تحويه الرغبة، ويحتاجه الفؤاد، ويتملّك القلب، ويأخذ بلُب العقل والجوارح.

ومن هذا المنطلق أحبّ الباحث أن يخوض في لُجة هذا الأمر، وأن يكتب شيئا يسيرا؛ لعل الله ﷻ أن يقوّم فيه عقله، ويسدد قلمه، ويُنطق لسانه؛ فيكون أهلا لاستخراج ولو دُرة واحدة، وسِرّ واحد، ولطيفة واحدة، من جملة الأسرار والدرر واللطائف...المكنونة في سنة المصطفى ﷺ على وجه العموم، وفي الحديث على وجه الخصوص.والحديث يزخر بالكثير من الأسرار المكنونة،والخصائص والأساليب واللطائف...التي تحتاج من يستخرجها. كما أنه اشتمل على جملة من النصائح التي ينبغي أن ينتبه لها كل مسلم في حياته. كما أنه تناول الحديث عن الدنيا من جهة، والحديث عن الآخرة من جهة أخرى، وذُكر في مجمله عدّة أمورتدل على الخسران في الآخرة إذا لم يتنبّه المرء لها.

ومن هذا المنطلق أراد الباحث أن يتناول كل هذه الجوانب التي اشتمل عليها الحديث، وأن يقف على الأسرار المكنونة بداخله، وأن يسترشد بجملة النصائح والمواعظ التي انطوي عليها؛ كي يسير على هدي منها في حياته، وكذا من يوفقه الله ﷻ لقراءة هذا البحث. وليس هذا تزكية للبحث، وإنما البحث يكتب وسيأتي من بعده من سيكتب ويستخرج الكثير والكثير من الأساليب والأسرار...التي غابت عن البحث، والله ﷻ أسال التوفيق والثبات لكافة المسلمين.

وقد اتبع البحث في الدراسة المنهج الاستقرائي التحليلي القائم على عرض الحديث كاملا، ثم الوقوف مع الأسرار البلاغية التي تضمنها الحديث كاملا، وذلك بتحليل المفردات والتراكيب للوقوف على الخصائص البلاغية وأثرها في تقوية المعنى وتدعيمه وتأكيده. وقد جاء البحث في مقدمة وتمهيد، وثلاثة مباحث، على النحو التالي:

المبحث الأول:أسلوب الاستفهام وأثره في المعنى.

المبحث الثاني: أساليب معاقد الجمل وأثرها في المعنى.

المبحث الثالث: أساليب التأثير وأثرها في المعنى.

الخاتمة: وفيها أهم نتائج البحث.فهرس المصادر والمراجع.

التمهيد

وفيه المحاور الآتية: التعريف بالراوي ــ نص الحديث عند مسلم والترمذي ــ تخريجات الحديث ــ الكتب التي شرحته ــ حول الحديث.

أولا ـ نص الحديث في رواية الإمام مسلم: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ بْنُ سَعِيدٍ، وَعَلِيُّ بْنُ حُجْرٍ، قَالَا: حَدَّثَنَا إِسْمَاعِيلُ وَهُوَ ابْنُ جَعْفَرٍ، عَنِ الْعَلَاءِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: "أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ: إن المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاة وَصِيَامٍ وَزَكَاة، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا، فَيُعطي هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْضي مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَت عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" .

ثانيا ـ نص الحديث في رواية الإمام الترمذي: حَدَّثَنَا قُتَيْبَةُ قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ العَزِيزِ بْنُ مُحَمَّدٍ، عَنْ العَلَاءِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ»؟ قَالُوا: المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي يَوْمَ القِيَامَةِ بِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ، وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ قَبْلَ أَنْ يُقْتَصّ مَا عَلَيْهِ مِنَ الخَطَايَا أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَ عَلَيْهِ ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" .

الترمذي: ما المفلس، وزيادة: المفلس فينا ـ يا رسول الله ـ ، ونقص إن في المفلس من يأتي، زيادة الهاء في صلاته ...، فيقعد فيقتص منه بدلا من فيعطي، زيادة من الخطايا بعد قبل أن يقتص منه،

ثالثا ـ التعريف بالراوي:اسمه:"اختلف في اسمه اختلافا كثيرا، فقيل: اسمه: عبْد شمْس، وقيل: عبْد عمرو، وقيل: عُميْر بن عامر بن عبد الله بن السّري بن طريف... بن نصر بن الأزد". [١]وقال ابن حبان:" وقيل عبد الرحمن بن صخر" وقيل غير ذلك" . كان إسلامه عام خيبر سنة سبع من الهجرة، وكان من الحفاظ المواظبين على صحبة رسول الله ﷺ في كل وقت على ملء بطنه". [٢]وقد "رُوي له في الكتب الستة خمسة آلاف وثلاثمائة وأربعة وسبعون حديثا". [٣] روي عنه أنه قال: "إن الناس يقولون أكثر أبو هريرة، ولولا آيتين في كتاب الله ما حدثت حديثا، ثم تلا﴿إِنَّالذِينَيَكتُمُونَمَا أَنزَلْنَا مِنَالبيّنَاتِوالهُدَي. . .﴾[٤] إن إخواننا من المهاجرين كان يشغلهم الصفق بالأسواق، وإن إخواننا من الأنصار كان يشغلهم العمل في أموالهم، وإن أبا هريرة كان يلزم رسول الله ﷺ بشبع بطنه، ويحضر ما لا يحضرون، ويحفظ ما لا يحفظون، وقال أيضا: قلت يا رسول الله إني أسمع منك حديثا

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق. علي محمد البجاوي ٤/ ١٧٦٨، طبعة/ دار الجيل، بيروت، طبعة/ أولي ١٩٩٢م.

(٢) مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تأليف. محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي، تحقيق. مرزوق على ابراهيم، صـ ٣٥، طبعة/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، طبعة: أولى١٩٩١ م.

(٣) أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تأليف. أبي محمد علي بن حزم الطاهري الأندلسي، تحقيق. سيد كسروي حسن، صـ ٢٧٥، طبعة/ دا الكتب العلمية، بيروت.

(٤) سورة البقرة، الآية ١٥٩.

كثيرا أنساه، قال: ابسط رداءك؛ فبسطته، قال: فغرف بيديه، ثم قال: ضمه؛ فضممته، فما نسيت شيئا بعده". (١)

رابعا. تخريجات الحديث: روى الحديث: الإمام أبو الحسين مسلم بن الحجاج ت ٢٦١هـ في باب/ تحريم الظلم ٤/ ١٩٩٧، كتاب صحيح مسلم، تحقيق. محمد فؤاد عبد الباقي، طبعة/ دار إحياء التراث العربي، بيروت. ورواه الإمام أبو عيسي الترمذي ت ٢٧٩هـ في باب/ ما جاء في شأن الحساب والقصاص ٤/ ٦١٣، كتاب سنن الترمذي، تحقيق. أحمد محمد شاكر، محمد فؤاد عبد الباقي، أحمد محمد عطوة، طبعة/ مطبعة مصطفي البابي الحلبي، مصر، طبعة/ ثانية ١٩٧٥م. ورواه الإمام أحمد بن حنبل ت ٢٤١هـ في باب/ مسند أبي هريرة ١٣/ ٣٩٩، كتاب مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق. شعيب الأرنئوط، عادل مرشد، وآخرون، إشراف. د. عبد الله التركي، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ أولي ٢٠٠١م . ورواه محمد بن حبان ت ٣٥٤هـ في باب/ ذكر الخبر المصرح بإيجاب النار على السارق ١٠/ ٢٥٩، كتاب صحيح ابن حبان، تحقيق. شعيب الأرنئوط، ، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ ثانية ١٩٩٣م.

خامسا. الكتب التي شرحت الحديث: معرفة الصحابة، الاستيعاب، أسد الغابة، الإصابة، تهذيب الكمال، تقريب التهذيب... وكثير من كتب الحديث.

---

(١) صحيح البخاري، تأليف. محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق. محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب/ العلم، باب/ حفظ العلم ١/ ٣٥، ١١٨، ١١٩، طبعة/ دار طوق النجاة، طبعة/ أولى ١٤٢٢ هـ.

سادسا ـ حول الحديث: أما فيما يتعلق بالحديث فقد أراد البحث أن يُشير إلى أنه اعتمد في هذه الدراسة على المسائل البلاغية والأسرار المكنونة في الحديث من خلال الدقائق واللطائف البلاغية التي اشتمل عليها، ومن هنا لم أتطرق إلى المسائل والقضايا الشرعية التي جاءت واشتمل عليها الحديث. كما اعتمد البحث على روايتين للحديث، رواية الإمام مسلم، ورواية الإمام الترمذي؛ لما لهما من سبْق وتقْدمة في الرتبة عند علماء الحديث، وكذا لعدم تغاير الروايتين الأخريين كثيرا عن روايتي مسلم والترمذي.

قال الإمام المزي في مقدمة كتابه" تهذيب الكمال في أسماء الرجال"أما السنة، فإن اللهﷻ وفّق لها حفاظا عارفين، وجهابذة عالمين، وصيارفة ناقدين، ينفون عنها تحريف الغالين، وانتحال المبطلين، وتأويل الجاهلين، فتنوعوا في تصنيفها، وتفننوا في تدوينها على أنحاء كثيرة وضروب عديدة، حرصا على حفظها، وخوفا من إضاعتها، وكان من أحسنها تصنيفا، وأجودها تأليفا، وأكثرها صوابا، وأقلها خطأ، وأعمها نفعا، وأعودها فائدة، وأعظمها بركة، وأيسرها مئونة، وأحسنها قبولا عند الموافق والمخالف وأجلها موقعا عند الخاصة والعامة: صحيح أَبِي عَبد اللَّهِ مُحَمَّد بْن إسماعيل البخاري، ثم صحيح أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيسابوري، ثم بعدهما كتاب السنن لأبي داود سُلَيْمان بْن الأشعث السجستاني، ثم كتاب الجامع لأبي عِيسَى مُحَمَّدُ بْنُ عِيسَى التِّرْمِذِيّ، ثم كتاب السنن لابي عَبْدِ الرَّحْمَنِ أَحْمَدُ بْنُ شُعَيْبِ النَّسَائي، ثم كتاب السنن لأبي عَبد الله مُحَمَّد بْن يزيد المعروف بابن ماجة القزويني وإن لم يبلغ درجتهم. (١)

(١)تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تأليف. يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق. د. بشار عواد معروف ١/ ١٤٧، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ أولي ١٩٨٠م.

المبحث الأول : أسلوب الاستفهاموأثره في المعنى

يُعد أسلوب الاستفهام من أساليب الإنشاء، وهو أسلوب له صلة وثيقة بمشاعر المتكلم، وحالته النفسية، وله قوة أثر لدى المخاطب من تنبيهه وإثارة ذهنه وإيقاظه...؛ ومن ثم فقد بُني عليه الحديث، حيث ابتدأ المصطفىﷺ الحديث بهذا الأسلوب من خلال طرح سؤال على الصحابة ﷺ فقال" أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ؟؟ والمفلس من قولهم"أفْلَسَ: إذا لم يَبْقَ له مالٌ".(١) والابتداء بأسلوب الاستفهام يُلفت الانتباه، ويثير ذهن المخاطب والسامع والقارئ.

فالمصطفىﷺيستطيع أن يخاطب صحابته ﷺ بالدخول المباشر فيبتدئ ويقول" إنّ المفلس من أمتي يأتي يوم القيامة... " لكن الحبيب ﷺ آثر أسلوب الاستفهام وطريقة السؤال؛ ليُبنى الكلام على إثارة انتباه صحابته ﷺ، وينبه نفوسهم، ويوقظ حسهم، ويزيد منتشوقهم، ويقوي شعورهم، ويستحضر عقولهم في السماع والإنصات نحو ما سيلقيه عليهم من موعظة ونصيحة وتوجيه وإرشاد... ؛ لأن الجواب الذي سيأتي ذو شأن وخطر وبال يبغي المصطفى ﷺ أن يستقر في قلوبهم وأذهانهم... وكذا في الأمة جمعاء أيضا.

وهذه بداية حسنة جيدة؛ لما لأسلوب الاستفهام من أثر وخصوصية في المعنى، فهو يحمل المخاطب والسامع والقارئ على التيقظ والانتباه، فضلا عن خلْق جو من التفاعل مع الكلام.

فالمصطفىﷺيعلم الإجابة قبل أن يسأل، فالصحابة ﷺ سيجيبون بحسب ما عندهم من العلم المعروف المبني على النظر إلى الدنيا؛ لكنّ المصطفى

(١) القاموس المحيط ١/ ٥٦٣.

ﷺأراد من السؤال أن يُثير حفيظتهم، ويوقظ نشاطهم، وأن يقدم لهم مفهوما جديدا عن المفلس، مفهوما معنويا وليس ماديا كما يدور في نفوسهم، فبادر بأسلوب الاستفهام؛ حتى يحثهم على التشوق للموعظة القادمة، والنصيحة الغالية، والفائدة العظيمة، والأمر الجلل. فالمرء قد يكون يحيا في سرور وراحة ورغد وطمأنينة... ؛ لأنه يؤدي ما عليه من صلاة وزكاة وصيام... ، ويظن أن تلك الأعمال وحدها فيها النجاة، ثم فجأة يسمع هذا الأمر الجلل من المصطفى ﷺ لينتبه ويتعظ ويتيقظ.. ويعلم أن تلك الأعمال وحدها لا تكفي إذا وُجدت معها الإساءة للغير بسب أو شتم أو قذف أو... ؛ لكون حسنات تلك الأعمال ستفنى وتُوزع على من أساء المرء إليهم، وتذهب لمن ألحق الأذى بهم، ثم يُلقى ــ أعاذنا الله والمسلمين ــ في النار.

فلما كان الأمر جللا، والوقع خطيرا، والكلام يحتاج إلى نفس منتبهة متيقظة متهيئة ومستعدة... لما سيُلقى لها؛ اتجه الحبيب ﷺ إلى أسلوب الاستفهام؛ لما له من عظيم الأثر في المعنى، فهو يحث النفس على التشوق والتلهف؛ ومن ثم يستدعي الانتباه والتيقظ والتهيؤ والاستعداد... . ذلك أنه"مما تحسن به المبادئ أن يصدر الكلام بما يكون فيه تنبيه وإيقاظ لنفس السامع، أو أن يشرب ما يؤثر فيها انفعالا ويثير لها حالا من تعجيب أو تهويل أو تشويق أو غير ذلك مما تقدمت الإشارة إليه" .(١)

وفي رواية الترمذي جاءت" مَنْ" مكان" مَا" في أسلوب الاستفهام" أَتَدْرُونَ مَنِ الْمُفْلِسُ" فرواية مسلم الاستفهام فيها عن وصف المفلس، وما يعرفه الصحابة ﷺ عنه من أوصاف يتصف بها؛ ومن ثم جاء الجواب من

(١) منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، صـ ٣١٠، طبعة/ دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة/ ثالثة ١٩٨٦م.

الصحابة ﷺ "الْمُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ" أي نعرفه بتلك الصفات وهو أنه لا يملك الدرهم، وليس لديه متاع، والمتاع"فِي الأَصل كُلُّ شَيْءٍ يُنْتَفَعُ بِهِ ويُتَبَلَّغُ بِهِ ويُتَزَوَّدُ والفَناءُ يأْتي عَلَيْهِ فِي الدُّنْيَا" .[1] هذا هو ما فهمه الصحابة ﷺ ودار في عقولهم نحو الاستفهام عن أوصاف المفلس التي يُعرف من خلالها، ويظهر ويتصف بها.

أما رواية الترمذي فالاستفهام فيها كان عن عيْن المفلس، ففيها مزيد تشخيص وتعيين؛ ومن ثم جاء الجواب من الصحابة ﷺبزيادة" يا" النداء وذِكر الرسول ﷺ، فقالوا"المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ مَنْ لَا دِرْهَمَ... " وهذا تناسب مع نوعية السؤال الذي يدور حول تعيين المفلس. كما أن الزيادة فيها مزيد عناية بالأمر المسئول عنه، وزيادة تأكيد في الجواب، فضلا عن زيادة اهتمام، وشدة إقبال، وقوة تركيز، وثقة في الجواب.

وهذا كله يتناسب مع حال السؤال الذي سُئل فيه عن عيْن المفلس، أي نعرفه حق المعرفة وأتمها؛ بأنه ذاك الذي لا يملك الدرهم ولا المتاع. وهذا يعد تخيرا جيدا، وصوغا مُحكما للأساليب التي لها وقع أثر في المعنى. ذلك أن عمود البلاغة" في وضع كل نوع من الألفاظ التي تشتمل عليها فصول الكلام موضعه الأخص الأشكل به، الذي إذا أبدل مكانه غيره جاء منه إما يتبدل المعنى الذي يكون منه فساد الكلام، وإما ذهاب الرونق الذي يكون معه سقوط البلاغة".[2]

---

(١) لسان العرب ٨/ ٣٢٩.

(٢) بيان إعجاز القرآن للخطابي، تحقيق. محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، صـ ٢٩، طبعة/ دار المعارف، مصر، طبعة/ ثالثة ١٩٨٦م.

وهكذا اتجه المصطفى ﷺ لأسلوب الاستفهام الذي كان له أثر بارز في المعنى؛ لما له من دور في إثارة العقل والوجدان، حتى يقف العقل والقلب على المعرفة بعد إثارة وتشوق؛ فيقع الجواب موقع راحة وطمأنينة بعد هذا التشوق وتلك الإثارة. كما أن في أسلوب الاستفهام دلالة على حرص المتكلم على تأكيد المعاني وتثبيتها في نفس المخاطب والمتلقي حتى يكون لها عظيم الأثر.

ويلْحظ البحث أن المصطفى ﷺ في الرد على الجواب لم يقل لصحابته ﷺ" ليس هذا هو المفلس" وإنما أظهر لهم مباشرة حقيقة المفلس،وهذا من الإيجاز بالحذف الذي يتعاون مع مدلول الاستفهام؛ ثقة بأن السامع سيعِي الجواب ويعرف المقصود؛ سيما في حالة كهذه التي يترقب فيها الجواب، وينتظر الرد بتلهف، ويُنصت لمعرفة الحكم على ما أجاب عليه بتشوق.

وبهذا تتضح لهم الحقيقة، وتتغير عندهم المقاييس، وتنكشف الرؤى، وتتغير المفاهيم؛ ومن ثم جاء أسلوب الإيجاز بالحذف؛ لوجود ما يدل على الجواب من خلال بناء الكلام على أسلوب المحاورة، ومن ثم زاد الكلام بلاغة ودقة وتركيزا وترابطا وتلاحما... وكان له عظيم الأثر في المعنى. ذلك أن الحذف كما قال عنه الإمام عبد القاهر" باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسحر، فإنك تري به ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيان إذا لم تبن... ".[١]

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ١٤٦، ١٥٦، طبعة/ مطبعة المدني، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٩١ م.

وهكذا اتجه المصطفى ﷺ إلى تغيير المفاهيم، وضبط الرؤى، وتوجيه نفوس صحابته الكرام ﷺ نحو ما ينفعهم حتى ينتبهوا لما تركّز في نفوسهم وفهموه عن حال المفلس وأوصافه، فهو بهذا يُربي فيهم روح الإيمان، وكمال التقوى، ويغرس فيهم ــ وفي الأمة كلها ــ روح الود والتآخي والمحبة والتعاون والسلام... الذي يسيروا به في حياتهم؛ لأن الدنيا تزول، والآخرة هي الباقية.

فحينما يعلم الصحابة ﷺ ــ وكذا سائر الأمة ــ أن من يسب أو يشتم أو يقذف أو يضرب... أخاه؛ يأتي مفلسا يوم القيامة وإن أتي بجبال حسنات متمثلة في العبادات من صلاة وزكاة وصيام...؛ لاشك أن جميعهم سينتبهون لأعمالهم وأقوالهم وأفعالهم... ، ولا يأخذهم العُجب بهذه الأعمال فيخوضون في الأعراض أو في السب والشتم أو أي مظلمة تتعلق بالعباد... ، ومن ثم ــ حينما ينتبهوا لأقوالهم وأفعالهم ــ سيسود ــ بهذا الخُلُق والتوجيه النبوي الكريم ــ الحب والود والإخاء وحسن المعاملة ومكارم الأخلاق... .

وهكذا عمل أسلوب الاستفهام في مُستهل الحديث على زيادة التنبيه، وخلق الاستثارة، وإضفاء التفاعل، وجعل جو الحوار مليئا بالتجاوب والتفاعل بين المُحاوِر والمتحاوَر؛ ليرجع إلى نفسه ويعي الجواب الصحيح الذي يُبني على ضوء الإيمان، وروح الحق، والإخلاص في المظهر والجوهر، واستفادة القلب بالأعمال الصالحة ظاهرا وباطنا. ذلك أن "الأساليب تقدر بمقدار ما توقظ وتثير وتحرك، حتى إن أقواها ما ينقلها إلى حالة نحس فيها أحاسيس جديدة، ونعيش بها أجواء جديدة، فإذا عظُم سلطان هذه الأجواء وهذه الأحوال على نفوسنا كانت المرتبة العالية في بلاغة الكلام".[1]

(١) التصوير البياني، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٣٦٣، طبعة/ مكتبة وهبة القاهرة، طبعة/ سادسة ٢٠٠٦ م.

المبحث الثاني: أساليب معاقد الجمل وأثرها في المعنى

معاقد الجمل يُعنى بهاالروابط التي تكون بين الجمل من فصل ووصل، وقد اتسم الحديث بجملة من دلالات روابط الفصل والوصل؛ كان لها جليل الأثر في المعنى، فقد جاء بناء الجمل على طريقة تُحقق الترابط والتلاحم بين أجزاء الكلام، وتزكي من أسلوب الحوار الذي بُني عليه الحديث.ففي جواب الصحابة ﷺ " المُفْلِسُ فِينَا يَا رَسُولَ اللَّهِ" جاء الفصل لشبه كمال الاتصال الذي بين السؤال والجواب، وقد كان له أثره في المعنى؛ لما أضافه من تأكيد للكلام، وتلاحم أجزائه، وترابط أركانه؛ ومن ثم خرج الكلام مقررا موثوقا.

وفي إعادة ذِكر المسند إليه فيالجواب ثم مجيء الظرف عقبه متوسطا بينه وبين المسند؛ كل هذا يدعم ويقوي الترابط والتلاحم الذي تحقق في المعنى بفضل أسلوب الفصل؛ لما فيه من مجاراة في أسلوب المحاورة، وهذا ــ لا شك ــ يُثري الكلام، ويدل على تركيز السامع، وحُسن اهتمامه بالمسئول عنه، ومن ثم يكون حسن اهتمامه وتقديره وتعظيمه... للسائل من باب أولى. وهذا كله من حُسن نظم انعقاد الجمل، وجمال بنائها ونسق تركيبها، وامتلاء المعنى في نفس المتكلم الذي يقتضي عظيم تقديره وإكرامه وإجلاله... للمخاطب الذي بادر بتوجيه الاستفهام إليه. ذلك أن" أساس النظم ترتيب المعاني في النفس يتبعه نظم الألفاظ، وكل جمال في نظم الألفاظ مرده إلى جمال نظم المعاني في النفس".[١]

(١) نظرية عبدالقاهر في النظم، تأليف. درويش الجندي، صـ ٩٥، طبعة/ مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٦٠ م.

وبناء التركيب على إدخال الظرف في الجواب" المُفْلِسُ فِينَا" يُعد احتراسا جميلا يدعم أسلوب الفصل ويقويه، وقد كان لهذا الأسلوب حُسنا بالغا وأثرا ونشاطا في المعنى؛ لأنه دلّ على ثقة الصحابة ﷺ بأن النبي ﷺ يعرف الكثير من الأمور الغائبة عنهم، فهو الذي أعطاه الله ﷻ من المنح والعطايا والفتوحات... ما لم يعط أحدا قبله ولا بعده، ومن ثم فقد دار في خلجات نفوسهم أنه ﷺسوف يقدم لهم جوابا ومدلولا يخالف ما يظنون ويعتقدون ويعهدون... . وتنكير لفظي" درهم ومتاع" للتقليل، أي نعرفه من بيننا بهذه الصفة لا يملك الدرهم البسيط، وكذا لا يملك لا نقول المتاع، وإنما أي قليل منه مما يُعد متاعا ويمكن أن يتكئ صاحبه عليه أو يتزود به أو يدخره لغرض.

وهذا كله يعد تخيرا جيدا للأساليب والمفردات التي تُحدث أثرا في المعنى وتتناغم مع الفصل لزيادة التلاحم والترابط، وقد تم ذلك من خلال التنكير وزيادة النداء وإعادة ذِكر المسند إليه والمجيء بالاحتراس، وهذا كله يشير إلى امتلاء نفوس السامعين بالجواب، ومن ثم ركزوا في الجواب والأساليب التي تُفصح عن المراد. يقول الدكتور/ محمد إبراهيم شادي" عندما تكون المفردات في العبارة متخيرة دقيقة؛ فإنها تحدث قوة في السبك وجمالا في التناسق، فضلا عما تحدثه من إيقاع خاص ينسجم مع دلالة الجملة والعبارة، ولا شك أن تناغم دلالة المفردات يؤدي تلقائيا إلى تناغم صيغ تلك المفردات عند من اختلطت بنفسه فطرة اللغة، وأوتي حظا من ملكة حسن التعبير" .[1]

(١) البلاغة الصوتية في القرآن الكريم للدكتور. محمد إبراهيم شادي، صـ ٥٩، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ أولي ١٩٨٨م.

ولما أتى جواب الصحابة ﷺبما يعرفون في دنياهم، ويظنونه حسب واقعهم،وهذا الجواب من شأنه أن يبعث في نفوسهم التساؤل عن حال الإجابة، وموطنها من حيث الصحة وعدمه، وهل تطابق ما قصده منهم الحبيب ﷺأم لا؟؟ ومن ثم جاء الجواب ليزيل الإبهام والتساؤل، وذلك في قول الحبيب ﷺ " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ... " .

وهذا أسلوب بلاغي جميل كان له حسنه وتأثيره في المعنى، وهو الإيضاح بعد الإبهام، وجاء التفصيل هنا مغلفا بالإجمال؛ ففصّل الحبيب ﷺ أولا ما أجمل في الاستفهام الذي توجّه للصحابة ﷺ في مستهل الحديث، ولكن بقي في النفوس توقُها وشوقها وتطلعها إلى مزيد من التفصيل الكاشف، والبسط المبين، ومد الميدان نحو معرفة الجواب، والوقوف على المعرفة الصحيحة للمفلس الذي سألهم عنه الرسول ﷺ ؛ فجاء البيان عقبه وقد صارت نفوسهم ﷺ في تشوق وولع ولهفة وترقب... في قوله ﷺ" وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا... " ذلك أن" البيان إذا ورَدَ بعدَ الإبهامِ وبعدَ التَّحريك له، أبدا لطفا ونبلا لا يكون إذا لم يتقدَّمْ ما يُحرِّكُ".(١)

وبهذا يكونلأسلوب الإجمال والتفصيل وقْع في المعنى، فهو الرابط الناظم لجمل الحديث ومعانيه، وهذا الرباط تعاضد مع ما أفاده أسلوب الاستفهام في بداية الحديث، وجعل المعنى محكما دقيقا، وتم عرضه في صورة مشوقة تُلفت الانتباه، وتُغري على المتابعة، وحسنالترقب، وزيادة الإنصات، وشدة الحرص، ومن ثم قوة تمكّن المعنى في النفس.ذلك أن" المعنى إذا ألقي على سبيل الإجمال والإبهام تشوقت النفس إلى معرفته على

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود محمد شاكر، صـ ١٦٤، طبعة/ مطبعة المدني، القاهرة، طبعة/ ثالثة ١٩٩٢م .

سبيل التفصيل والإيضاح، فإذا ألقي كذلك تمكن فيها فضل تمكن، وكان شعورها به أتم".[1]

وقد ترابط التأكيد مع الإيضاح والتفصيل في قول الحبيب ﷺ " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ" فالخبر هنا في الجملة تم تأكيده بـ" إنّ" وهذا من حسن بناء الجمل؛ لما يضفيه من أثر على المعنى، فهو من تنزيل غير المنكر منزلة المنكر، حيث إن الصحابة ﷺ لم يكونوا منكرين لما سيقوله المصطفى ﷺ ولكن لما كان جوابهم مغايرا لما سيلقيه المصطفى ﷺ عليهم، ونظروا إلى الأمر نظرة العرف الدنيوي فقصروا المفلس على من لا يملك درهما ولا متاعا؛ نزلوا منزلة من ينكر تلك الحقيقة التي سيلقيها عليهم المصطفى ﷺ ومن ثم جاء الخبر مؤكدا.

وكذا لما كان الكلام مبنيا على السؤال الذي يُنتِج استشرافا وتطلعا وتشوقا من المسئول نحو معرفة جوابه إن كان أصاب فيه أو أخطأ ومعرفة الجواب الصواب حال كونه مخطئا؛ جاءت" إنّ" في الكلام لتواجه هذا التطلع والاستشراف والتشوق... . ذلك أنه إذا كانت" الجملة أو الجمل السابقة متضمنة إشارات أو إيماءات تثير في النفس المتلقية تساؤلا فتسعفها الجملة الثانية بما يزيل التردد ويجيب عن هذا الهمس، فيدخل قدرا من التوكيد في بناء العبارة ليواجه هذا التردد". [2]

---

(١) بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح، أ. د. عبدالمتعال الصعيدي، صـ ١٣٣، طبعة/ مكتبة الآداب، طبعة/ السابعة عشر ٢٠٠٥م.

(٢) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٨٤، طبعة/ مكتبة وهبة ، طبعة/تاسعة ٢٠١٤ م.

ولما كانت رواية الترمذي السؤال فيها عن عيْن المفلس؛ خلت من التأكيد بـ" إن" وهذا يتناسب مع حال السؤال والمسئول، إذ كيف يُسألون عن عين ما يعرفون وينزلون منزلة المنكر، فحالهم هنا حال من عاين الشيء وعرفه أتم معرفة، وأشد يقين، ولم يكن هذا مبنيا على أوصافه وإنما من عيانه ورؤيته.

ويري البحث ــ على سبيل المقاربة والمسامحة لا القطع ــ أن زيادة" مَنْ" الموصولية في رواية الترمذي في جواب الحبيبﷺ"المُفْلِسُ مِنْ أُمَّتِي مَنْ يَأْتِي..." أتت عِوضا عن مجيء" إنّ" في رواية مسلم، فتناغم التعريف مع أسلوب الفصل في إخراج الكلام متلاحما مترابطا؛ ذلك أن التعريف بالموصولية له أثردقيق وحس في المعنى، فهو يساهم في تقرير الكلام وتأكيده وجعله أمكن في نفوس متلقيه، فضلا عن استحضاره عيانا تمهيدا لبناء المعاني والكلام القادم وهو ذات أهمية يحتاج حسن الإصغاء والإنصات إليه.

وأيضا في مجيء الموصولية؛ إشارة إلى خطأ فهم المخاطب، ومن ثم بادر المصطفى ﷺ بتصحيح المفاهيم للمخاطب وسوق الكلام له؛ ليتضح له المراد الذي ينتظره في تشوق ولهفة. قال العلوي" إن النفس إذا وقفت على كلام غير تامّ بالمقصود منه تشوقت إلى كماله فلو وقفت على تمام المقصود منه لم يبق لها هناك تشوّق أصلا، لأن تحصيل الحاصل محال، وإن لم تقف على شيء منه فلا شوق لها هناك، فأما إذا عرفته من بعض الوجوه دون بعض فإن القدر المعلوم يحصل شوقا إلى ما ليس بمعلوم". (١)

(١) الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي،صـ ٤٥، طبعة/ المكتبة العصرية، بيروت، طبعة/ أولى ١٤٢٣هـ.

والمتأمل في جواب المصطفى ﷺ وتفصيله؛ يلحظ تركيزه على الإتيان بالظرف" يَوْمَ الْقِيَامَةِ" وهذا يتناغم مع أسلوب الفصل هنا، ولو أن الظرف حُذف لدل عليه سياق الكلام؛ لكن المصطفى ﷺقصد أن يبين لصحابته ﷺ أنها هي الدار الخالدة، وهي المُعول عليها في حياة الإنسان، فلا ينبغي أن يغفل ويركن إلى هوى النفس وشيطانها فيفعل تلك الأفعال ويظن أنه بمأمن بصلاته وزكاته وصيامه... ؛ فهو مفلس يوم القيامة، يأتي يضرب كفا على كف، ويعض على يديه حسرة على ما ضيع وفرط وأهلك... ، كحال ذاك الذي كان يملك المال ويبعثره هنا وهناك ولا يؤدى حقه كما يجب، وفجأة يفلس بعد أن ظن أن له متكآ من المال لا ينفد، وأن غناه وزينته لن تنقطع وتزول.

كما تناغم تقديم الظرف في جملة الجواب مع أسلوب الفصل، حيث تقدملكونه هو الأهم والمقصود بيانه، فالميزان يوم القيامة ميزان عدل، ميزان صدق، ميزان حق، لا ينفع فيه شفيع، ولا يُقضى فيه بمال أو جاه أو سلطان، فينبغي أن تُوجّه الأبصار إليه، وأن ترقب النفوس كل أفعالها، فالإفلاس الحقيقي ليس إفلاس المال والمتاع في الدنيا، ففي الدنيا قد يكون غنيا ويفتقر، وقد يكون فقيرا ويغنى، وقد يفلس ويصبح موسرا بعد ذلك،أما الإفلاس الحقيقي هو إفلاس يوم القيامة؛ومن ثم جاء اختيار يوم القيامة من بين الأسماء" كيوم الحشر والفصل والخروج والبعث... " لما فيه من أمور عظيمة، وأحداث جسيمة، وأهوال شديدة ينبغي أن تخشاها النفوس وتستعد لها وتتهيأ لمصيرها حينما يقوم الناس جميعا من قبورهم للحساب والجزاء، ومن هنا جاء القسم به في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾.[1]

(١) سورة القيامة، الآية ١.

فيوم القيامة هو اليوم الذي ينبغي أن تحافظ عليه النفوس، وتتطلع لأعماله القلوب؛ حتى لا تحزن وتضع نقودها في كيس مثقوب تظن أنه يحفظ أموالها وهو في الحقيقة فارغ من المدخرات، فلا تركيز إذن إلا على ذلك اليوم. ومن ثم جاء التقديم لأهميته وعنايته وحرصهﷺ ببيان هذا الأمر لصحابته ﷺ .وهذه المعاني أبرزها التقديم، ذلك أنه" يجري على نسق دقيق من مراقبة المعاني، ومتابعة الأحوال، وهو متشعب النواحي، متعدد الأصول، فهم يقدمون من المتعلقات ما هو أوثق بغرض الكلام وسياقه" . (١)

إذن على كل امرئ أن ينتبه، وأن يخشى من هذا الإفلاس الحقيقي، إفلاس يوم القيامة الذي تبحث فيه النفس عن أي عمل صالح يُنجيها، وتُفتش عن أي حسنة تُفديها، وترقب أي موقف يكفيها حر ـــ أعاذنا الله وإياكم والمسلمين من حرها ــ النار، فيكون حالها كحال هذا الذي كانت الأشياء في يده، وامتلك حسنات أمثال الجبال؛ لكنه في لحظة صار مفلسا، وضيّع عبادته وذهبت منه حسناته. يقول الشيخ الغزالي عن هذا المفلس إنه" كالتاجر الذي يملك في محله بضاعة بألف وعليه ديون قدرها ألفان، وكيف يُعد هذا المسكين غنيا؟؟ والمتدين الذي يباشر بعض العبادات، ويبقي بعدها بادي الشر، كالح الوجه، قريب العدوان، كيف يُحسب امرأ تقيا؟؟..." . (٢)

ويلحظ البحث بناء جملة الجواب وانعقادها على التغاير والتضاد، وهذا من شأنه أن يكون له وقع جليل في المعنى، ففي قول الحبيب ﷺ " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ" كلام يدل على أن المفلس يمتلك بعض

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د. محمد أبو موسى، صـ ٣٦٧.
(٢) خلق المسلم للشيخ الغزالي، صـ١٢، طبعة/ دار الريان للتراث، القاهرة، طبعة/ أولي ١٩٨٧م.

الأعمال، والصحابة ﷺ قالوا في جوابهم" المُفْلِسُ فِينَا مَنْ لَا دِرْهَمَ لَهُ وَلَا مَتَاعَ" فالمفلس عندهم لا يملك شيئا، فهو صفر اليدين، بينما الحبيب ﷺ أثبت له الامتلاك وجعله يأتي بأشياء يملكها، وهذا من شأنه أن يخلق جوا من التساؤل حول هذا المفلس المغاير لما في عقولهم، فالمعروف أنه لا يملك، بينما هذا يملك!! ؟؟ ، فتزداد الحيرة والدهشة في نفوسهم؛ ومن ثم ينتج التفاعل بين أجزاء الكلام؛ ليأتي الجواب عقبه ويكشف عن هذا المفلس؛ فينجلي التساؤل، وتنكشف الدهشة، ويقع الكلام موقعه الأنسب؛ فتتهيأ النفوس لتجنب هذه الأفعال والحذر من الوقوع فيها.

والمتأمل في نص الحديث في الروايتين؛ يجد أن أسلوب الوصل جاء بين الصلاة والصيام والزكاة وكان له حس في المعنى، وهو من عطف المفردات، وهذا يفيد أنه أتى بزكاته وصيامه كما أتى بصلاته، فإذا كانت الصلاة كثيرة فكذا الصدقات والصيام؛ لكن حاله أنه ظلم وقذف وشتم وضرب... فذهبت حسنات هذه الأعمال.

وفي رواية مسلم جاء التنكير بين أطراف جمل الوصل في ذِكر الصلاة والصيام والزكاة في قول الحبيب ﷺ" يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ" فكان للتنكير أثره في المعنى، وتناغم تناغما تاما مع أسلوب الوصل، وفي التنكير دلالة على عِظم هذه الأعمال، وأنها بلغت مبلغ الجبال في عظمتها وكثرتها، ومن ثم في ثوابها وأجرها، وهذا كله يدل على أن صاحبها يأتي يوم القيامة مستندا عليها، ومستبشرا بها، ومنتظرا فضلها وثوابها... .

أما في رواية الترمذي فقد جاء التعريف بالضمير في قول الحبيب ﷺ " يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِبِصَلَاتِهِ وَصِيَامِهِ وَزَكَاتِهِ"والتعريف دلّ على فخر هذا المفلس

وعزته وعلوه وسروره وفرحه... وبِشره بهذه الأعمال التي أتى بها في هذا المشهد، فقد علته الفرحة والأبهة والعظمة... من كثْرة ما قدّم من أعمال، ومن ثم يأتي يصحب تلك الأعمال في فخر وعلياء وزهو... طمعا في نيل الأجر والثواب والجزاء.

ولما دلّ التعريف في رواية الترمذي على العظمة والفخر والزهو... الذي سيطر على المفلس؛ جاءت الزيادة هنا بقوله" فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ" فتناسبت الزيادة مع مدلول أسلوب الوصل، فالتعبير بالقعود هنا لدحر عليائه، وكسر عظمته، والإشارة إلى انقلاب حاله، وتبدل مآله، وتغير مصيره، فبعد أن أخذته العظمة والفخر والأبهة... بتلك الأعمال الصالحات؛ بدأت الملائكة تُقعده لكي تقتص للعباد منه.

كما أن في التعبير بالقعود زيادة تنكيل وتوبيخ وتحقير... لهذا المفلس الذي كان مزهوا مفتخرا معتزا بما جاء به من صلاة وزكاة... ، فلم تنفعه أعماله الصالحة وذهب ثوابها لغيره. فالزيادة تدل على المبالغة في حالته يوم القيامة وهو قاعد لا يدفع عنه أحد، ولا ينقذه أحد، وخاب وخسر بعد أن كان منتظرا حسنات عبادته؛ فذهبت كلها للعباد الذين ظلمهم. ومِثل هذه المبالغة والشرح والتفصيل يجعل الكلام يحقق غايته، ويزيد تأثيره في نفس المتلقي. ذلك أن" المبالغة تعد وسيلة من وسائل شرح المعنى وتوضيحه عندما يراد بها مجرد تمثيل المعنى أو تأكيد بعض عناصره المهمة" . [(١)]

فتأمل أسلوب التعريف بين الجمل الموصولة ودلالته على حال المفلس، ثم تخيّر التعبير بلفظ"فَيَقْعُدُ" كل هذا يشيع جوا من المشهد المهيب

(١) الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفور، صـ ٣٤٣ بتصرف، طبعة/ المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢ م

الذي أصاب هذا المفلس بعد أن كان فرحا مسرورا مزهوا... منتظرا أجر العبادات التي أتى بها. وهذا يُعد من" قدرات اللغة التي تستطيع كلمة منها بل صيغة كلمة أن تحضر مشهدا هائلا كهذا، وكأن الكون والزمان والأحداث كلها مضمرات في بطون الكلمات تفصح عنها حين تديرها يد الخبير بطبائعها" .(١)

ثم جاء الوصل بين الصفات التي فعلها هذا المفلس في قول الحبيبﷺ" شَتَمَ هَذَا،وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا" فجاء الوصل وكان له أجل الأثر في المعنى؛ لما أشاعه من اقتراف هذا المفلس لكل صفة من هذه الصفات على حدة، فقد أتى بالشتم، والقذف، وأكل المال، وسفك الدم، وإتيانه بكل صفة على حدة؛ فيه دلالة على تشبعه بها، وأنه أتى بها على آخرها، ووصل إلى عقبها وحدها ومنتهاها، وهذا من عطف الجمل لقصد التشريك في الحكم.

وقد تلاءم تعريف المفعول مع أسلوب الوصل الذي حدث بين الصفات، فكان له أثره في المعنى، حيث عرّفه في كل المواضع باسم الإشارة؛ لما فيه من دلالة على التمييز والمعرفة واستحضار الغائب، وهذا يقتضي التعرف من الطرفين، فالمفلس يعرف على من أوقع الظلم ويراه، والمظلوم يتعرّف على المفلس ويحضُر واقفا أمامه في هذا المشهد ليطلب القصاص والحق والعدل... .

هذا: ويحتمل أن يكون التعريف بالإشارة للدلالة على تنوع وتعدد وكثرة ما فعله هذا المفلس مع العباد، فهو لم يرع صنفا من الناس ولا أحدا من البشر، وإنما أوقع الشتم والضرب والقذف... على الجميع، وهذا يدل

(١) خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ.د.محمد أبو موسى، صـ ٢٦٥.

على تعدد ما فعل، وكثرة ما أقدم عليه، فشتمه وضربه وقذفه... تناول الناس جميعا. وهذا من نماء المعنى، والعمل على وضوح الدلالة. ذلك أنه" على قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصار، ودقة المدخل، يكون إظهار المعنى. وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجح" .(١)

وقوله ﷺ " فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ، وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ"جاء الجواب لبيان جزاء هذا المفلس، وأن العاقبة والقصاص سيكون بتوزيع حسناته على من ظلمهم وطرح سيئات المظلومين عليه، وانعقاد التركيب على أسلوب العطف بالفاء؛ كان له جليل الأثر ودقته في المعنى؛ لما أفاده من دلالة على سرعة تحقيق العدل، والاقتصاص من الظالم للمظلوم، وهذا ما أظهره مجيء" الفاء" في التعبير.ذلك أن"من مفاتن هذه اللغة الشاعرة ودقة مواءمتها بين اللفظ والمعني: أنها اختارت" الفاء" وهي حرف واحد لمعنى المسارعة، و" ثم" وهي ثلاثة أحرف للمهلة؛ ليواكب قصر الزمن في النطق بـ" الفاء" التوالي السريع للأحداث، ويتناغم طول النطق بحرف المهلة مع التراخي في وقوع الأحداث" . (٢)

وقد تآزر حذف المسند إليه مع ما أفادته" الفاء" من السرعة، فمن البين الواضح أن الملائكة الكرام ستقوم بهذا العمل بأمر من الله ﷻ، فالذّكر لا يتعلق به غرض، وإنما المراد إثبات السرعة في وقوع الأمر، وإظهار المبادرةفي إعطاء الحسنات من الظالم والجائر إلى من ظُلم وجُور عليه،

(١) البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق . عبدالسلام هارون ١/ ٧٥.

(٢) من أسرار حروف العطف في القرآن الكريم للدكتور. محمد الأمين الخضري، صـ ١٥٢، طبعة/ أولى مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩٣م.

كذلك طرح السيئات من المظلوم على الظالم، ثم البيان والخاتمة لما سيحدث بعد ذلك من إلقاء الظالم في النار ــ أعاذنا الله والمسلمين أجمعين من النارــ بعد أن صار مفلسا رغم أنه كسب حسنات كثيرة من العبادات التي أدّاها.

وفي رواية الترمذي جاءت الزيادة بجملة" فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ" وهذا يفيد سرعة تحقيق القصاص، ونفاذ قضاء العدل، والانتصار للمظلوم من الظالم، فلا وقت بين إقعاد هذا المفلس واقتصاص العباد لحقوقهم منه.

كما أن التعبير بـ" الفاء" يدل على بيان العلة من إقعاده، وأن الأمر لا يتعلق بمجرد القصاص، فيمكن أن يُقتص منه على أي حال؛ لكن لا يُقتص منه إلا وهو على هذه الحالة من القعود؛ لكسر أنفته وعزته وقوته... التي استخدمها وأوقع بها المظالم على العباد، فكأنه لا قصاص سيؤخذ منه إلا وهو على هذه الحالة من الإقعاد. يقول الأستاذ الدكتور/ محمد أبو موسى في مثل هذا" والوجه في هذا ومثله ــ وهو كثير جدا ــ أن ذِكر الفاء نص في التعليل، وأن الكلام لم يبن على أساس أن تكون الجملة الثانية متولدة من الجملة الأولى، وموصولة بها بهذه الرابطة التي تكلمنا فيها وإنما هي مرتبطة بها بالفاء التي تعطفها عليها عطف العلة على المعلول، وكأن هنا كلامين متميزين أحدهما علة للآخر، قامت الفاء بينهما مقام العروة الخارجية..." . [1]

(١) دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ. د. محمد أبو موسى، صـ ٣١٩، ٣٢٠، طبعة/ مكتبة وهبة، طبعة/ ثانية ١٩٨٧ م.

والتركيب اتسم بأسلوب التكرار؛فكان له أعظم الأثر في المعنى، وقد تعاون مع أسلوب الوصل في بيان الجزاء والعاقبة التي نالها المفلس، ففي قوله ﷺ" وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ"يؤكد تعدد الحرمات التي فعلها هذا المفلس؛ ومن ثم تعدد من يقفون يوم القيامة ويأخذون من حسناته. كما أن في التكرار تمكين للمعنى، وتقرير له، فهذا المفلس تعددت جرائره التي جرها على العباد، ومن ثم تعدد الآخذون من حسناته، وهذا ما قرره وأكده التكرار هنا. فكما قيل" الكلام إذا تكرر تقرر" .[١] ويقول أ. د. إبراهيم الخولي" وتمكين المعنى والاحتياط له تلخيص جيد دقيق لأغراض التكرار كما تبدت لنا من تصفح مواضع نظامه في كتاب الله ﷻ ، وفي سنة رسوله ﷺ ، وفي أشعار الجاهليين وغير الجاهليين على سواء" .[٢]

(١) البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم٣/ ١٠، طبعة/ دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، طبعة/ أولي ١٩٥٧م.

(٢) بلاغة التكرار أ. د. إبراهيم الخولي، صـ ١٠١، طبعة/ الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤م.

المبحث الثالث: أساليب التأثير وأثرها في المعنى

اتسم الحديث بجملة من الأساليب التي كان لها أعظم الأثر في تحقيق التأثير في المعنى، وقد تنوعت تلك الأساليب وتعددت، فتارة يكون التأثير عن طريق الاستعارة، وتارة عن طريق الكناية. فالاستعارة ذات قيمة بلاغية، وتُحدث تأثيرا في المعنى من خلال تشخيص المعاني وبث روح الحياة فيها، فهي كما قال عنها الإمام عبد القاهر" فإنك ترى بها الجماد حيا ناطقا، والأعجم فصيحا، والأجسام الخرس مبينة، والمعاني الخفية بادية جلية".(١)والكناية تجدها في الكلام أبلغ أثرا من الإظهار، وأشد وقعا في النفوس، فكما قالوا"لأن في الإظهار تحديدا للمراد وقصرا للغاية، وفي الإطلاق اتساعا للخيال وسعة في التحليق والظن". (٢)

ففي قول المصطفى ﷺ " يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِصَلَاةٍ، وَصِيَامٍ، وَزَكَاةٍ" أسلوب استعارة جلّى المعنى وزكاه وحقق له تأثيرا، حيث جاءت الاستعارة المكنية؛ لتصور دقة الأمر وتجليه، وتُحدث تأثيرا في النفوس، حيث شبه الصلاة والزكاة والصيام بأجسام محسوسة، وجعل صاحبها يوم القيامة يأتي بها يحملها على مرأى من الناس والحشود كلها تنظر إليه. والاستعارة تُظهر الفرح والسرور الذي امتلك نفس هذا المفلس وسيطر على فؤاده وهو لا يدري حاله، ويجهل أفعاله، وينسى أنه فرط وضيع وأضاع كل هذه الأعمال التي يحملها. وأسلوب الاستعارة كذا يبرز عِظم هذه الأعمال وكثرتها، ومن ثم صار صاحبها يحملها حمل الشيء الثقيل الذي يحتاج إلى

(١) أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٤٣.

(٢) الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، د. عباس بيومي عجلان، صـ ٣١٩، طبعة/ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية. ١٩٨٥م.

شدة وقوة لكي يُحمل. وهذا له أثره في النفوس، فباتت ترقب حال هذا الذي لم يعُد مفلسا؛ وإنما يأتي يصحب هذه الأعمال العظيمة. وهذا يكشف عن ثقلها في الميزان، ويجسدها مرئية حاضرة محمولة حتى يدركها كل مدرك، وينظر لها كل ناظر، ويتمناها كل متمنّ لو كانت عنده وله، وهذا تم بفضل الاستعارة. ذلك أن" وظيفة الاستعارة ليست وظيفة تهدف إلى تقريب صورة الشيء، أو حتى تجسيده، وإنما إدراكه" .(١)

والتعبير بالمضارع في الحالتين في قولهﷺ" يَأْتِي" يدعم ما جاءت به الاستعارة، فهو يجْعلالمعنى حاضرا بين يدي المتلقي، ويستحضر المشهد أمام العيون، فصاحب هذه الأعمال ينظر إلى أعماله التي يحملها والفرح يعلوه، والناس من حوله تشاهد وتنظر وتتمنى ــ قبل أن تعرف ما عليه من جرائر، وقبل أن يُوضع له ميزان الحق والعدل ــ لو كانت مثله.وهذا كله لا يوجد في التعبير بالماضي. ذلك أن الماضي"لا يتخيل السامع منه إلا فعلًا قد مضى من غير إحضار للصورة في حالة سماع الكلام الدال عليه، وهذا لا خلاف فيه" .(٢)

ومن متممات أسلوب الاستعارة هنا؛ أسلوب مراعاة النظير في الجمع بين" الصلاة والزكاة والصيام" ليعضد ويقوي من أسلوب الاستعارة ويُحدث تأثيرا قويا في النفوس، فمراعاة النظير يُبرهن عن كثْرة ما أتى به هذا المفلس من أعمال كان ينتظر ثوابها ويدخر أجرها، ويرقب فضلها؛ لكنها

(١) الصورة والبناء الشعري، تأليف. محمد حسن عبدالله، صـ ١٥٥، طبعة/ دار المعارف، القاهرة.

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق. محمد محي الدين ٢/ ١٤٧، طبعة/ المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥م.

ذهبت هباء ولم يبق من أجرها شيء. وذِكر الزكاة هنا يدل على غناه وثراه وأنه كان ممن يزكون ويخرجون الزكاة، ويوزعون الصدقات التي تُعد من الأعمال العظيمة؛ لكن كل هذه الأعمال فنيت وذهبت وأفلس صاحبها بعد أن ظن غناه. وقد أكد مراعاة النظير التناسب بين الألفاظ، وجعل الكلام أكثر تركيزا وإيجازا. ذلك أن" هذا الفن البديعي قائم على المصاحبة المعجمية التي تسهم في تحقيق السبك بين الجمل المتجاورة عن طريق مراعاة نظير لعلاقة التناسب والائتلاف" .(١)

وفي قول الحبيب ﷺ " وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا، وَضَرَبَ هَذَا" الشتم:" قبيح الكلام" .(٢) والقذْف: أصله" الرّمْي ثم استعمل في السّب والرّمي بالزّنا".(٣)والسّفْك: من قولهم:" سفَك الدّم يَسْفِكه سَفْكا: أي صبّه وهرَاقه".(٤)وقول الحبيب ﷺ " وَأَكَلَ مَالَ هَذَا" جاء أسلوب الاستعارة ليصور حال هذا المفلس الذي استحل أكل المال واستساغه وصار من حاجته كحاجته للطعام والشراب، حيث استعار الأكل للاستيلاء والأخذ على سبيل الاستعارة التبعية في الفعل، والاستعارة توضح قوة ما فعله هذا المفلس، فبالرغم من صلاته وزكاته وصيامه؛ إلا أن هذه العبادات العظيمة لم تمنعه من التعدي والاستيلاء والسلب... من العباد مما ليس حقه. فوصل إلى درجة من يأكل الشيء بِفِيه من شدة ما يفعله من استيلاء وسلب.

---

(١) البديع بين البلاغة العربية واللسانات النصية، د. جميل عبد المجيد، صـ ١١٢، طبعة/ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.

(٢) تاج العروس ٢٤/ ٢٤١.

(٣) تهذيب اللغة ١١/ ٢٢٥.

(٤) لسان العرب ١٠/ ٤٣٩.

والاستعارة لها تأثيرها ووقعها وقوتها في النفوس، حيث أظهرت حال هذا الذي يسيطر على ما ليس من حقه، فجاء التعبير بالأكل؛ ليبرز صورته، وكيف سيطر وتصرف في مال غيره تصرف من يأكل ويتمتع ويتلذذ بالطعام والشراب، وهذا يدل على سوء صنيعه، فكان حقه أن يتحرى الحقوق، وأن يكون له وازعا من صلاته وصيامه وزكاته... يمنعه من التصرف والاستيلاء والأخذ من العباد.

فتأمل حال الإنسان؛ تجد لا غنى له عن الشراب والطعام، فحال هذا المفلس من شدة أفعاله وجوره على العباد؛ صار أكل المال وسلب المال عنده حاجة ضرورية، وشيئا أساسيا، لا يحيا بغيره، ولا يعيش بتركه، فكما لا يعيش بدون طعام وشراب، فكذا لا يعيش إلا ويأكل أموال العباد، فأين صلاته؟؟ وزكاته؟؟ وصيامه؟؟ . فجاءت الاستعارة لتصور حاله، وتجسد صنيعه، وتجعل المتلقي يشعر أيما شعور بما صنعه هذا المفلس؛ فيجعل ــ المتلقي ــ لنفسه رقيبا، ولعمله حسيبا، ولحسناته حافظا يحفظها كي لا يقع فيما وقع فيه هذا المفلس، وهذا ما برز من خلال التصوير بالأكل.

ذلك أن"الاستعارة من أبرز الوسائل البيانية بالحس الخفي، والشعور الغامض، والفكرة المحتجبة، من حيث إنها العون على إبراز كل ذلك، والعبارة عنه، وإن من الأفكار والمشاعر ما يدق على اللغة المباشرة والأساليب الحقيقية، فلا تستطيع العبارات أن تقبض على بعض المعاني والخواطر السانحة، وأن تحددها في إطار واضح، وإنما تقدر على ذلك العبارات المجازية التي تشير وتومئ وتستعين بالصور المحسوسة المركوزة في الطباع" .[١]

(١) التصوير البياني، أ.د . محمد أبو موسى، صـ ٣٣١.

ويظهر أسلوب الطباق فيزيد المعنى وضوحا وقوة وتأثيرا في النفوس ويتناغم مع الاستعارة في تحقيق التأثير، وذلك في قوله ﷺ " فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُ، أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ" والخطايا جمع خطيئة، وهي تختلف عن السيئة والإثم، قال صاحب التحرير والتنوير في تفسير قول الله ﷻ﴿وَمَنْ يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرْمِ بِهِ بَرِيئًا فَقَدِ احْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُبِينًا﴾[1] وَذِكْرُ الْخَطِيئَةِ وَالْإِثْمِ هُنَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُمَا مُتَغَايِرَانِ، فَالْمُرَادُ بِالْخَطِيئَةِ الْمَعْصِيَةُ الصَّغِيرَةُ، وَالْمُرَادُ بِالْإِثْمِ الْكَبِيرَةُ".[2] وقال العسكري"أَن الْخَطِيئَة قد تكون من غير تعمد وَلَا يكون الْإِثْم إِلَّا تعمدا".[3] وجاء في مقاييس اللغة لابن فارس في شأن السيئة"أَمَّا السِّينُ وَالْوَاوُ وَالْهَمْزَةُ فَلَيْسَتْ مِنْ ذَلِكَ، إِنَّمَا هِيَ مِنْ بَابِ الْقُبْحِ. تَقُولُ رَجُلٌ أَسْوَأُ، أَيْ قَبِيحٌ، وَامْرَأَةٌ سَوْآءُ، أَيْ قَبِيحَةٌ. وَلِذَلِكَ سُمِّيَتِ السَّيِّئَةُ سَيِّئَةً. وَسُمِّيَتِ النَّارُ سُوأَي، لِقُبْحِ مَنْظَرِهَا، قال تعالي﴿ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةَ الَّذِينَ أَسَاءُوا السُّوءَى﴾[4]".[5]

وبين الخطيئة والحسنة ملحق الطباق؛ لأن الخطيئة لازم من لوازم السيئة، وقد أفاد ورود الكلام على طريقة ملحقات الطباق؛ مدى دقة البيان النبوي في اختيار الألفاظ، فكأنه رأى أن ذِكر الإثم أو السيئة يشمل الصغيرة والكبيرة، والتعمد وعدمه، والقبيح من كل شيء؛ فجاء ذكر الخطيئة مناسبا؛ تنزيها لهؤلاء عن كل هذا. كما أظهر التعبير بملحق الطباق؛ أن هؤلاء لهم

---

(١) سورة النساء، الآية ١١٢.

(٢)التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ١٩٦/٥، طبعة/ الدار التونسية للنشر، تونس١٩٨٤هـ.

(٣)الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري، تحقيق . محمد إبراهيم سليم ١/ ٢٣٥،طبعة/ دار العلم والثقافة، القاهرة.

(٤) سورة الروم، الآية ١٠.

(٥)التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور ٥/ ١٩٦.

خطايا ليست من السيئات القبيحة ولا الآثام العظيمة، ومن ثم فإن هذا المفلس قد ظلم واعتدى وجار... على أناس لهم ما لهم من الأعمال الصالحة، وإن كان لهم غير ذلك؛ فهي خطايا لا تعد من الآثام والسيئات العظيمة، ومن ثم فهم لم يجوروا عليه في شيء، أو يظلموه في شيء، أو يعتدوا عليه في شيء؛ فكان الأحرى بالمفلس أن يقدّر هؤلاء، وألا يعتدي عليهم.

وهذا يؤكد شناعة ما فعله هذا المفلس، فقد كان من الأغنياء الذين يُزكون؛ لكنه سلب أموال العباد، وقذف بالباطل، وسفك الدم ظلما، وضرب بغير حق، وهذا كله برز من خلال الطباق. فهو مع تجميله اللفظ" فإنه يؤدى غرضا معنويا، حيث يستوعب الحكم كاملا، كما يأتي لعقد مقابلة حسية ونفسية أو زمانية، ومنه ما يكتشف أجزاء القضية ويبرز أطرافها، مما يؤكد أن الطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع، إذ الضد أقرب خطورا بالبال عند ذكر ضده" .(١)

وتأمل ترتيب المعاني وما له من جليل أثر في النفوس، ففي قول المصطفى ﷺ" شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا" يعد ترتيبا حسنا ابتدأ فيه من أقل المحرمات وأدناها إلى أعظمها وأشنعها في الحرمة؛ حتى تحتاط النفوس وتحذر ولا تُهون من الأشياء التي تظن أنها صغيرة؛ لأنها تجرها للوقوع في الكبيرة.

فانظر إلى هذا المفلس تراه ضيّع ثواب الأعمال الصالحة بكثرة المحرمات التي فعلها، فلم يكف عن شيء، فقد بدأ بالصغيرة وانتهي إلى الكبيرة، فالشتم فعله، والقذف ارتكبه، وأكل مال الناس اقترفه، وسفك الدماء

(١) البديع رؤية جديدة، د. عبدالله دراز، صـ ١٤.

أحدثه، فماذا سينفعه بعد هذا !!؟؟ وماذا سيشفع له بعد هذا !!؟؟ فقد أفسد ما قدّم من أعمال بأنواع الاعتداء التي فعلها مع العباد، فالناس يريدون أخذ حقهم، فالذي لا يأخذونه في الدنيا يأخذونه في الآخرة، فيقتص لهم منه؛ فيأخذ هذا من حسناته، وهذا من حسناتهبالعدل والقصاص بالحق، فإن فنيت حسناته أخذ من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار ـــ أعاذنا الله والمسلمين منها ـــ .

وكل هذا الترتيب والتنظيم والحشد؛ يجعل للكلام أثره وتأثيره ووقعه في النفوس، فهو يُربي الخوف والرهبة في نفوس صحابته الكرام ﷺ وفي نفس كل من يسمع هذا الكلام؛ فينبغي أن ينتبه الإنسان ولا يغتر بأعماله الصالحة فيطغى على العباد، وكذا لا يقلل من الصغائر؛ لأنها نافذة وباب للوقوع في الكبائر، وبهذا يضيع ثواب عبادته. فـ" راجع سبك الكلام، وتأمل وتفقد وضعه على لسانك وذوق الكلمات ومواقعها؛ لأن كل شيء فيه بحساب" .[1]

ومجيء الضرب متأخرا مع أنه أقل حرمة من سفك الدماء؛ للدلالة على عدم ترك هذا المفلس لشيء من الحرمات، واقترن سفك الدماء بأكل المال؛ نظرا لأن المال شقيق الروح، فالروح تتعلق تعلقا شديدا به، ومن ثم اقترنا ببعضهما، ثم جاء الضرب معطوفا عليه؛ لتأكيد المعاني، فالعطف يؤكد المعنى ويبرزه ويزيده قوة، وهذا من حسن اختيار الألفاظ الملائمة للمعاني. ذلك أن"الكلام البليغ ينبغي أن تأتلف ألفاظه وتتلاءم معانيه، وينتظم في نسق بديع متلائم الأجزاء متناسب الدلالات".[2]

---

(١) شرح أحاديث من صحيح البخاري ـــ دراسة في سمت الكلام الأول ـــ أ. د. محمد أبوموسي، صـ ٥٦، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة ٢٠٠١م.

(٢) دراسات منهجية في علم البديع، أ. د. الشحات أبو ستيت، صـ ٨٤، طبعة/ دار الخفاجي للطباعة والنشر، القليوبية بمصر، طبعة/ أولي ١٩٢٤م.

ثم جاءت ثلاث استعارات في ختام الحديث؛ زادواالمعنى تأثيرا وقوة وتمكينا، ففي قول المصطفى ﷺ" فَإِنْ فَنِيَتْ حَسَنَاتُهُقَبْلَ أَنْ يُقْضى مَا عَلَيْهِ أُخِذَ مِنْ خَطَايَاهُمْ فَطُرِحَت عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" فاللفظ"فَنِيَتْ" يدل على نفاد كل حسناته، فالفَناءُ" نَفادُ الشيءِ" .(١)

وفي الكلام أسلوب استعارة أضفى على المعنى تمكينا، فاستعار الفناء لذهاب الحسنات كلها وعدم بقاء شيء منها، والاستعارة تشير إلى أن المفلس لم يبق له شيء ينفعه، فبعد أن صلي وزكي وصام؛ خسر كل هذا، وأتي الفناء على جميعه، ولم يجد شيئا يتكئ عليه بسبب أفعاله التي فعلها مع العباد. وقد أفادت الاستعارة؛ بيان زوال الحسنات وانقطاعها عن آخرها، فلا أمل ولا سند ولا شيء بقي لهذا المفلس. وقد جسدت الاستعارة الحسنات بصورة الشيء المحسوس الذي يحل عليه الفناء، فكأن المفلس ينظر ويرى بعينيه حال الحسنات وهي تفنى وتزول شيئا فشيئا؛ كما يشاهد فناء الدار وغيره من الأشياء المحسوسة التي يحل عليها الفناء، وهذا كله يزيد من حسرته ونكبته وخسرانه وخزيه... في هذا المشهد.

والاستعارة كان لها أجل التأثير في المعنى؛ لما صورته من شدة ما حلّ ونزل بالمفلس في هذا اليوم، فبعد أن كانت له حسنات مثل الجبال؛ فنيت كلها، واستُؤصلت عن عقبها، وهذا تغلغُل ماتع في الكشف عن ضياع حسنات هذا المفلس وانتهائها، ولو وُصف ذهاب الحسنات وضياعها بكلمة تصور هذا المعنى فلن تجد أفضل ولا أعلى ولا أبهر من كلمة" فنيت" . ذلك أن الاستعارة" تعطيك الكثير من المعاني باليسير من اللفظ حتى تُخرجَ من الصدَفة الواحدة عِدّةً من الدُّرَر، وتَجْنِيَ من الغُصْن الواحد أنواعاً من الثَّمر". (٢)

---

(١) تاج العروس ٣٩/ ٢٥٦.

(٢) أسرار البلاغة للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٤٣.

ثم جاءت الاستعارتان في لفظ"فَطُرِحَت عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَفِي النَّارِ" حيث استعار الطرح الأول لوضع الخطايا من المظلومين وتسجيلها في صحيفة هذا المفلس، واستعار الطرح الثاني لإلقاء المفلس في النار ــ أعاذنا الله والمسلمين منها ــ وفي التعبير بالطرح في الأول؛ إظهار مدى سرعة أخذ خطايا المظلومين ووضعها في صحيفة المفلس مما ترتب عليه سرعة إلقائه في النار، ففرق شاسع بين الكتابة والتسجيل في الصحيفة وبين الطرح وما فيه من قوة وشدة ودفع وقذف. كما أن أسلوب الاستعارة يُنبئ عن عدم انتظار أو تمهل الملائكة في نُصرة المظلوم وأخذ حقه، ومن ثم فإن أمر محو السيئات من صحيفة المظلوم وتسجيلها في صحيفة الظالم لم يكن مجرد نقل من هنا إلى هنا؛ وإنما هو طرح وإلقاء وقذف ورمي... على الظالم حتى أهلكه وتسبب في قذفه بشدة وقوة في النار. فأسلوب الاستعارة صوّر سرعة الأخذ، وسرعة الإلقاء، كذا أفصح عن الدفع بقوة وشدة في أخذ خطايا المظلومين ووضعها على الظالم.

ولأسلوب الاستعارة أثره في المعنى؛ لما أضافه من تجسيد الأمر، فالخطايا توضع وتسجل في الصحيفة لا تُطرح؛ لكن أسلوب الاستعارة أخرجها مخرج الشيء الذي يُرمى ويلقى ويدفع ويقذف... ؛ لبيان أن الأمر لا يتعلق بمجرد وضعها في صحيفة الظالم؛ وإنما بما تستلزمه من هلاكه وتدميره وإدخاله في النار، ومن ثم صارت كالشيء الذي يُقذف ويرمى فيضر ما يصيبه، ويهلك ما يأتي عليه، ويقضي على ما وقع عليه، وهذا ما حدث مع الظالم حينما ألقي وطُرح وقذف في النار.

ولكن هذا الدخول في النار ليس أبديا؛ وإنما يُعذب بقدر ما حصل عليه من سيئات، قال الهروي" وَهَذَا مِنْ ضَرُورَةِ قَضِيَّةِ الْعَدْلِ الثَّابِتِ لَهُ تَعَالَى

بِالنَّقْلِ وَالْعَقْلِ، فَإِنَّ الظَّالِمَ إِذَا أَكْثَرَ مِنَ الْحَسَنَاتِ وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ مِنْهَا وَغَلَبَتْ عَلَى سَيِّئَاتِهِ، فَإِنْ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ يَبْقَى حَقُّ الْمَظْلُومِ ضَائِعًا، وَإِنْ أُدْخِلَ النَّارَ يُنَافِي قَوْلَهُ تَعَالَى﴿فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[١] فَلَا بُدَّ مِنْ أَنَّ الْأَمْرَيْنِ إِمَّا أَخْذَ الْحَسَنَاتِ وَإِمَّا وَضْعَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى يَتَحَقَّقَ خِفَّةُ مِيزَانِ عَمَلِهِ، فَيَدْخُلُ النَّارَ فَيُعَذَّبُ بِقَدْرِ اسْتِحْقَاقِهِ، ثُمَّ يَخْرُجُ وَيَدْخُلُ الْجَنَّةَ بِسَبَبِ الْحَسَنَاتِ الْبَاقِيَةِ إِنْ كَانَتْ هُنَاكَ، وَإِلَّا بِبَرَكَةِ الْإِيمَانِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا، وَهَذَا مِنَ الْبَرَاهِينِ الْوَاضِحَةِ الْمُؤَيِّدَةِ بِالشَّوَاهِدِ وَالْأَدِلَّةِ اللَّائِحَةِ" .[٢] وقال الشيخ ابن عثيمين"لكن هذا الحديث لا يعني أنه يخلد في النار، بل يعذب بقدر ما حصل عليه من سيئات الغير التي طرحت عليه، ثم بعد ذلك مآله إلى الجنة؛ لأن المؤمن لا يخلد في النار، ولكن النار حرها شديد، لا يصبر الإنسان على النار ولو للحظة واحدة، هذا على نار الدنيا فضلاً عن نار الآخرة".[٣]

كما أن أسلوب الاستعارة زاد المعنى قوة؛ لما صوّره من غلظ ما أصاب هذا المفلس، وشناعة الأمر، وبشاعة ما حل به، وفظاعة ما أصابه، فكما أن النفوس تكره وتأبى الشيء الذي يضيرها؛ فإن الخطايا مما يضير النفوس في هذا اليوم، ومن ثم فإن نقلها من المظلوم إلى الظالم فيه شفاء للمظلوم عندما يُطرح عنه ما يضيره، ويُلقي من عليه ما يشينه، ويُنزع عنه ما يتسبب في هلاكه، فما أحلاها وأشدها من فرحة !! بينما في ذات الوقت

---

(١) سورة الأعراف، الآية ٨.

(٢) مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف. علي بن محمد الهروي القاري، طبعة/ دار الفكر، بيروت، طبعة/ أولي ٢٠٠٢م.

(٣) شرح رياض الصالحين، تأليف. محمد بن صالح العثيمين، طبعة/ دار الوطن للنشر، الرياض ١٤٢٦هـ.

هي مضرة وهلاك ودمار... على الظالم حينما يوضع عليه الشيء الضار الذي يهلكه ويُطرح طرحا قويا شديدا لا يملك فيه دفعه أو صده أو إبعاده عنه. وهذا ما ترتب عليهشدة أخْذ الملائكة لهذا المفلس، وقوة دفعه، وسرعة زجّه في النار، وعدم الالتفات إليه بعد أن ضيع حسناته بيديه. وهذا ما صورته الاستعارة، ذلك أن" الاستعارة في حقيقتها نوع من الإدراك للأشياء تتحول فيها عن طبائعها المألوفة ، وتأخذ صورا جديدة وحقائق جديدة" .(١)

والتعبير بالماضي في" فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" يدعم التأثير الذي أحدثته الصور الاستعارية؛ لما يشيعه من تحقيق الوقوع، والإشارة إلى أنه واقع لا محالة، وأن أمر طرح السيئات ثم طرح المفلس في النار صارا من شدة ثبوتهما وتحققهما وسرعة قيام الملائكة بالأمر صارا كأنهما واقع مقطوع به. وفي التعبير بالماضي أيضا تأكيد على حصول الجزاء المترتب على أفعال المفلس ترهيبا للأمر؛ حتى تقلع وتتعظ وتتدبر... النفوس وتجتنب أفعالا كهذه. ذلك أن"الألفاظ تجري من السمع مجرى الأشخاص من البصر، فالألفاظالجزلة تُتَخَيَّل في السمع كأشخاص عليها مهابة ووقار، والألفاظ الرقيقة تتخيل كأشخاص ذي دماثة ولين أخلاق ولطافة مزاج" .(٢)

كما يتجلى أسلوب المشاكلة الذي زاد من تأثير الاستعارة وتلاحم معها، ففي قولهﷺ" فَطُرِحَتْ عَلَيْهِ، ثُمَّ طُرِحَ فِي النَّارِ" والطّرح"نبْذ الشيء وإلقائه".(٣)فالمراد الدخول في النار لكن جاء ذِكر الطرح؛ للمشاكلة

(١)التصوير البياني، أ.د . محمد أبو موسى، صـ ١٨٢.

(٢)المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق. محمد محي الدين ١/ ١٨١.

(٣) مقاييس اللغة ٣/ ٤٥٥.

والمناسبة لما قبله، وكان لأسلوب المشاكلة حسّه وتأثيره في المعنى؛ لما فيه من تأكيد الإذلال، وإثبات السخرية، وقصْد الإهانة، فقد صار هذا المفلس مطروحا مُلقيا مرميا كالشيء الذي لا يعتد به، ولا يُلتفت إليه. وهذا ما جلته المشاكلة. ذلك أن"هذا الضرب من الكلام فيه مواتاة وذكاء وملاحظة، ويعتمد على البديهة والفطنة والطرفة اللماحة والنادرة الذكية، لذلك كثُر في كلام الأعراب".(١)

كما أن أسلوب المشاكلة أثرى المعنى وجعل له وقعا في النفس؛ لما شكّله من جو الترابط بين المعاني، فأظهر خُسران المفلس، وخيبته وضياعه، وجعل وضع السيئات طرحا عليه، وإلقائه في النار طرحا؛ لإظهار الشدة في أخذه، والقوة في الاقتصاص منه، فلا حسابه يكون هينا حين محاسبته، ولا معاقبته تكون هينة عند سوْقه لنيل العقاب. وهذا كله انتصار للمظلوم، وشفاء لنفسه، وتطييب لفؤاده، وتعويض له عما رأى من هذا المفلس من اعتداء؛ فإذا هو الآن ينظر طرح السيئات عليه، وطرحه في النار وما يكون في الأمرين من شدة وقوة وزجر وأخذ وقبض ودفع... .

وهذا كله أبرزه أسلوب المشاكلة بين اللفظين وجعل للكلام وقعا وتأثيرا وتداخلا وتلاحما مع بعضه، فهي كما قال عنها شيخ البلاغيين/ أبو موسى"وهذه كلها من مزايا الكلام وعناصر تأثيره، ثم إنك تري المعاني هنا يرتدي بعضها أردية بعض، ويدخل بعضها في معاطف بعض على غير سنة المجاز، وحين تجري بالألفاظ وعليها هذه السمة سمة التجانس والتآخي

(١) علم البديع عند الشيخ محمد أبو موسي، كتبه. أ. د. محمود توفيق، صـ ٢٧٦، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة أولي ١٩٩٠م.

والتشاكل، لا تري كلاما ــ كما يقول الزمخشري ــ أحسن منه ديباجة وأكثر ماء ورونقا".[1]

ثم جاء أسلوب الكناية؛ ليزيد المعنى تأثيرا وتمكينا، ففي قوله ﷺ " وَسَفَكَ دَمَ هَذَا" كناية تُبرهن عن أفعال هذا المفلس، وتُجلي المعنى وتقويه وتؤكده، فالكلام كناية عن القتل، حيث عبّر عن القتل بسفك الدم؛ لما في سفك الدم من شناعة وعِظم لما يفعله القاتل بالمقتول.

كما أن التعبير بالصفة يدل على بشاعة الأمر وشدة ما يفعله هذا المفلس، فهو لا يفعل فقط أي نوع من أنواع القتل المعروف الذي يخلو من الدماء، وإنما يسفك الدم ويريقه ويراه ينصبّ أمام عينه، فقد بلغ مبلغا شديد في انتهاك الحرمات واقتراف المعاصي؛ فبهذا الصنيع حُق له أن يُفلس يوم القيامة، وتفنى أعماله التي عملها؛ لأن هؤلاء جميعا سيقتصون منه، وهذه المظالم لا تهاون فيها، وحقوق العباد سترد إليهم. وهكذا صوّرت الكناية بشاعة الأمر حتى تُحدث تأثيرا في النفوس، فينبغي أن تنفر من هذه الأفعال، وتتخلق بالأخلاق الحسنة، وتتطبع بصفات جليلة حميدة؛ تنبع نتيجة تغلغل أثر العبادات التي قدّمتها داخل القلب والنفس؛ فلا تُقدم على فِعل شنيع كهذا، وهذا ما تجلّى من خلال الكناية التي قال عنها الإمام عبد القاهر"إثباتك الصفة للشيء تثبتها لهإذا لم تُلْقِه إلى السامع صريحا، وجئتَ إليه من جانبِ التعريضِ والكنايةِ والرمزِ والإشارة، كان له من الفضلَ والمزيَّة، ومن الحسْن والرونق، ما لا يقلُّ قليلُه، ولا يُجْهَلُ موضعُ الفضيلةِ فيه" . [2]

(١) علم البديع عند الشيخ محمد أبو موسي، كتبه. أ. د. محمود توفيق، صـ ٢٧٧.

(٢) دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، صـ ٣٠٦.

وفي رواية الترمذي جاء أسلوب الكناية في الزيادة في قوله ﷺ" فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ" وأسلوب الكناية هنا له أثره في المعنى ويزيده تأثيرا، فهو كناية عن خِزيه وضعفه وخوره... وذهاب قوته التي استخدمها مع العباد سواء في الضرب أو السفك أو القذف... ، فالآن ذهبت قواه، ولا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئا سواء قولا باللسان كما فعل في السب والشتم، أو فعلا بالجوارح التي استخدمها في القتل والضرب، كما ذهب عنه كل ما يتكئ عليه من أعمال، وبدا مهانا ذليلا مُقعدا... لا يدفع عن حاله شيئا.وقد أبرز أسلوب الكناية كل هذه المعاني، ذلك أن الكناية" من أروع الفنون البيانية وأرقى الطرق البلاغية التي يعبر بها المتكلم عن المعنى الذي يريده تعبيرا موجزا هادفا لطيفا يخفى وراء ظلاله أهدافا ولطائف يريدها ويقصدها" .(١)

ونظم الكلام بهذه الصورة وتلك الدقة من خلال الاستفهام والتفصيل بعد الإجمال ومجيء الاستعارة والكناية والمشاكلة... ؛ كان له أثره في المعنى، وإخراج النصح والإرشاد في ضوء من الإقناع والقبول، وتغيير المفاهيم والرؤى والمقاييس... في إطار من حسن التوجيه، ودقة التوضيح، وكشف الحقائق للصحابة ﷺ والأمة في نظم متلاحم مترابط متناغم متماسك... سلكت فيه الأساليب البلاغية المتنوعة دورها فأخرجت المعنى في أبهى صورة وأنقى حلة. وهذا ما قال عنه الإمام عبد القاهر في مثل هذا النظم" حتى إذا تدبرته لم يحتج واضعه إلى فكر وروية حتى انتظم، بل ترى سبيله في ضم بعضِه إِلى بعضٍ، سبيلَ مَنْ عمدَ إِلى لآلٍ فخرَطَها في سلك، لا

(١) من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، د. حمزة الدمرداش زغلول، صـ ٦، طبعة/ المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٨٨ م.

يبغي أكثر من يَمْنَعَها التفرُّق، وكمَنْ نَضَدَ أشياءَ بعضُها على بعضٍ، لا يُريد في نَضَده ذلكَ أن تجيء له منه هيئةٌ أو صورةٌ، بل ليس إلاَّ أنْ تكونَ مجموعةً في رأْي العين. وذلك إذا كان معناك، معنى لا تحتاج أن تَصنَعَ فيه شيئاً غيرَ أنْ تَعْطِفَ لفَظاً عَلَى مثلهِ" . (١)

(١) دلائل الإعجاز للإمام عبدالقاهر الجرجاني، صـ ٩٦.

الخاتمة

الحمد لله على ما يسر وأعان، والصلاة والسلام على النبي العدنان، صلى الله عليه وعلي آله وأصحابه وجمعني والمسلمين معهم في ظلال الجنان. وبعد:ـ

فقد من الله تعالى على أن وفقني لأعيش في رياض البيان النبوي مع روضة من رياض المصطفى ﷺ وحكمته وحرصه على تبليغ دعوته على أكمل ما يكون وعزمه على نفْع صحابته ﷺوأمته؛ حيث عاش البحث مع حديث" أتدرون من المفلس" وما حواه من أساليب بلاغية كان لها أثرها في المعنى، حيث زادت المعنى جلاء ووضوحا... ، وهذه أهم نتائج البحث:

أولا ــ كان لأسلوب الاستفهام ــ من بين كافة الخصائص البلاغية التي اشتمل عليها الحديث ــ دوره البارز في الحديث، وكان رأسا من رءوس الخصائص البلاغية في الحديث، فقد استهل به المصطفى ﷺالحديث في قوله"أَتَدْرُونَ مَا الْمُفْلِسُ"؛ فأزكى أسلوب الحوار، وجعل كلامهﷺمحركا للعقل، مثيرا للوجدان، يدعو للإذعان، ويحث على الإقرار، ويدعم عملية التواصل والإقناع ويُحدث تأثيرا في المخاطبين.

فكلامه ﷺكما قال الرافعي"على جهة الصناعتين اللغوية والبيانية، رأيته في الأولى مُسددَ اللفظ مُحكم الوضع جزل التركيب، متناسِب الأجزاء في تأليف الكلمات، فخم الجملة، واضح الصلة بين اللفظ ومعناه واللفظ وضريبه في التأليف والنسق، ثم لا ترى فيه حرفامضطرباً؛ ولا لفظة مستدعاة لمعناها أو مستكرهة عليه؛ ولا كلمة غيرُها أتم منها أداة للمعنى وتأتيا لسره في الاستعمال؛ ورأيته في الثانية حسن المعرِض، بين الجملة، واضحَ التفضيل، ظاهِرَ الحدود جيدَ الرصفِ، متمكن المعنى؛ واسع الحيلة

في تصريفه، بديعَ الإشارة، غريب اللمحة،ناصع البيان، ثم لا ترى فيه إحالة ولا استكراهاً، ولا ترى اضطراباً ولا خطلا، ولا استعانة من عجز، ولا توسعا من ضيق، ولا ضعفا في وجه من الوجوه" .[1]

ثانيا ــ شكّلت الاستعارة دورا بارزا في الحديث بما لها من خصوصية، فقد وردت خمس مرات؛ وكان لها عظيم الأثر في تقريب الصورة وتجسيدها، وبيان حال هذا المفلس من جهتين: الأولى مجيئه بحسنات كثيرة مثل الجبال يحملها في فرح وبشر بها، والثانية: زوال تلك الحسنات وذهابها دون بقاء شيء منها ثم إلقائه بصورة عنيفة قوية فيها ما فيها من الأخذ والبطش والتنكيل وقذفه في النار ــ أعاذنا الله والمسلمين من حرها ــ .

ثالثا ــ ظهر في الحديثالكناية وما لها من خاصية عظيمة وفضل ومزية وحسن ورونق في التعبير بها في الكلام، فوردت مرتين في الحديث؛ لتصوير شناعة ما فعله هذا المفلس من سفك دماء كناية عن ارتكاب القتل، ثم تصوير خوره وضعفه وذهاب قوته التي أوقعها على العباد من خلال قول المصطفى ﷺ " فَيَقْعُدُ فَيَقْتَصُّ هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ" .

رابعا ــ اتسم الحديث بالإيجاز وما له من خصوصية في المعنى، فأتي الإيجاز بالحذف في رد المصطفى ﷺ على الصحابة ﷺ حينما بيّن لهم حقيقة المفلس دون أن يرد على جوابهم بقوله" ليس ذلك هو المفلس" وذلك ثقة بأن السامع سيعِي الجواب ويعرف المقصود، وهذا يُعلي من التشوق والتلهف والإنصات لمعرفة الحكم؛ سيما في حالة كهذه التي يترقب فيها المخاطب الجواب. وبهذا اتضحت لهم الحقيقة، وتغيرت عندهم المقاييس، وانكشفتالرؤى، وتغيرت المفاهيم.

---

(١)إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، صـ ٢٢١.

خامسا ــ استخدم المصطفى ﷺأسلوب الفصل في جوابه على صحابته ﷺفكان له مزيد خصوصية في تلاؤم الكلام الذي بُني على السؤال في مستهل الحديث، وشأن السؤال أنه يُنتِج استشرافا وتطلعا وتشوقا من المسئول نحو معرفة جوابه إن كان أصاب فيه أو أخطأ،أو ومعرفة الجواب إن أعيته معرفته، فجاء الجواب فيقول الحبيب ﷺ " إِنَّ الْمُفْلِسَ مِنْ أُمَّتِي يَأْتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ... " ليزيل الإبهام والتساؤل، فكان له حسنه وتأثيره في المعنى.

سادسا ــ برز التعريف بالإشارة في الحديث، فكان له خصوصية عالية في التعبير، حيث جاء تعريف المفعول باسم الإشارة في قول المصطفى ﷺ " وَيَأْتِي قَدْ شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا... " لما في التعريف من دلالة على التمييز والمعرفة واستحضار الغائب، وهذا يقتضي التعرّف من الطرفين، فالمفلس يعرف على من أوقع الظلم، والمظلوم يتعرّف على المفلس ويحضُر واقفا أمامه في هذا المشهد ليطلب القصاص والحق والعدل. ويحتمل أن يكون التعريف للدلالة على تنوع وتعدد وكثرة ما فعله هذا المفلس مع العباد، فهو لم يرع صنفا من الناس ولا أحدا من البشر، وإنما أوقع الشتم والضرب والقذف... على الجميع، وهذا يدل على تعدد ما فعل، وكثْرة ما أقدم عليه، وهذا من نماء المعنى، والعمل على وضوح الدلالة.

سابعا ــ حذّر المصطفى ﷺمِن الوقوع في المحرمات، وخاصة ظلم الناس والاعتداء عليهم؛ لأنه يضيّع الأجر يوم القيامة، وهذا ما جلّاه التكرار في قوله ﷺ" فَيُعْطَى هَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ،وَهَذَا مِنْ حَسَنَاتِهِ"حيثأكد تعدد الحرمات

التي فعلها حتى تعدّد من يقفون يوم القيامة ويأخذون من حسناته؛ ومن ثم عليه أن يحذر من فِعْل الحرمات حتى لا تضيع حسناته وتذهب لغيره.

ثامنا ــ اهتم المصطفى ﷺبحسن البيان وتوظيف العبارات بدقة وإحكام، فجاء استخدام الأفعال متناغما في الحديث، فتارة يأتي المصطفى ﷺبالمضارع؛ ليستحضر المشهد العجيب، ويجعل الصورة مرئية مشاهدة أمام الصحابة ﷺوكل مخاطب من الأمة، وتارة يأتي بالماضي؛ ليبين تحقق وقوع ما يخبرهم به، وأن ما سيصيب هذا المفلس يوم القيامة واقع لا محالة.

تاسعا ــ استخدم المصطفى ﷺأسلوب الوصل في بيان الصفات التي فعلها هذا المفلس في قولهﷺ" شَتَمَ هَذَا، وَقَذَفَ هَذَا، وَأَكَلَ مَالَ هَذَا، وَسَفَكَ دَمَ هَذَا" فكان للوصل أجل الأثر في المعنى؛ لما أشاعه من اقتراف هذا المفلس لكل صفة من هذه الصفات على حدة، وللدلالة على تشبعه بها، وأنه أتي بها على آخرها، ووصل إلى عقبها وحدها ومنتهاها.

وغيرها من الأساليب البلاغية التي اتسم بها الحديث وكان لها فضل ومزية في كشف المعني، وتوضيح الدلالة، وتوظيف دقيق لكل مقصد وهدف وغاية من التوجيهات والوصايا التي قصد المصطفى ﷺأن يسوقها لصحابته ﷺ وأمته.

وبعد :.فالحمد لله على توفيقه لي، وهذا غاية ما وصلت إليه في بحثي حول الأساليب البلاغية في البيان النبوي وأثرها في المعنى، فإن كنت قد وفقت؛ فهذا من فضل الله سبحانه وتعالى، وإن أكون غير ذلك؛ فحسبي أنني بذلت ما في وسعي وطاقتي والكمال لله وحده، اللهم إني أسألك الرشاد في القصد والطلب، وأعوذ بك من الرياء والسمعة، إنك أنت القريب المجيب.

فهرس المصادر والمراجع

١. أسرار البلاغة للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود شاكر، طبعة/ مطبعة المدني، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٩١ م.

٢. الاستيعاب في معرفة الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمري، تحقيق. على محمد البجاوي، طبعة/ دار الجيل، بيروت، طبعة/ أولي ١٩٩٢م.

٣. أسماء الصحابة الرواة وما لكل واحد من العدد، تأليف. أبي محمد على بن حزم الطاهري الأندلسي، تحقيق. سيد كسروي حسن، طبعة/ دا الكتب العلمية، بيروت.

٤. إعجاز القرآن والبلاغة النبوية للرافعي، طبعة/ دار الفكر العربي، القاهرة، طبعة/ ثامنة.

٥. البديع بين البلاغة العربية واللسانات النصية، د. جميل عبد المجيد، طبعة/ الهيئة العامة للكتاب، القاهرة ١٩٩٨م.

٦. البرهان في علوم القرآن لبدر الدين الزركشي، تحقيق. محمد أبو الفضل إبراهيم، طبعة/ دار إحياء الكتب العربية عيسي البابي الحلبي وشركاه، القاهرة، طبعة/ أولي ١٩٥٧م.

٧. بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة، ا. د. عبد المتعال الصعيدي، طبعة/ مكتبة الآداب، طبعة/ السابعة عشر ٢٠٠٥م.

٨. بلاغة التكرار أ. د. إبراهيم الخولي، طبعة/ الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة ١٩٩٤م.

٩. البلاغة الصوتية في القرآن الكريم للدكتور. محمد إبراهيم شادي، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ أولي ١٩٨٨م.

١٠. بيان إعجاز القرآن للخطابي، تحقيق. محمد خلف الله، د. محمد زغلول سلام، طبعة/ دار المعارف، مصر، طبعة/ ثالثة ١٩٨٦م.

١١.البيان والتبيين للجاحظ، تحقيق. عبد السلام هارون، طبعة/مؤسسة الخانجي، القاهرة، طبعة/ خامسة ١٤٠٥هـ.
١٢.التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، طبعة/ الدار التونسية للنشر، تونس ١٩٨٤ هـ.
١٣.التصوير البياني، أ. د . محمد أبو موسى، طبعة/ مكتبة وهبة القاهرة، طبعة/ سادسة ٢٠٠٦ م.
١٤.تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي، تأليف. يوسف بن عبد الرحمن المزي، تحقيق. د. بشار عواد معروف، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ أولي ١٩٨٠م.
١٥.خصائص التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، أ. د. محمد أبو موسى، طبعة/ مكتبة وهبة ، طبعة/ تاسعة ٢٠١٤ م.
١٦.خلق المسلم للشيخ الغزالي، طبعة/ دار الريان للتراث، القاهرة، طبعة/ أولي ١٩٨٧م.
١٧.دراسات منهجية في علم البديع، أ. د. الشحات أبو ستيت، طبعة/ دار الخفاجي للطباعة والنشر، القليوبية بمصر، طبعة/ أولي ١٩٢٤م.
١٨.دلائل الإعجاز للإمام عبد القاهر الجرجاني، تحقيق. محمود محمد شاكر، طبعة/ مطبعة المدني، القاهرة، طبعة/ ثالثة ١٩٩٢م .
١٩.دلالات التراكيب دراسة بلاغية، أ. د. محمد أبو موسى، طبعة/ مكتبة وهبة، طبعة/ ثانية ١٩٨٧ م.
٢٠.شرح أحاديث من صحيح البخاري ــ دراسة في سمت الكلام الأول ــ أ. د. محمد أبو موسي، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة ٢٠٠١م.
٢١.شرح رياض الصالحين، تأليف. محمد بن صالح العثيمين، طبعة/ دار الوطن للنشر، الرياض ١٤٢٦هـ.

٢٢.صحيح البخاري، تأليف. محمد بن إسماعيل البخاري، تحقيق. محمد زهير بن ناصر الناصر، كتاب/ العلم، باب/ حفظ العلم، طبعة/ دار طوق النجاة، طبعة/ أولى ١٤٢٢ هـ.
٢٣.الصورة الفنية في التراث النقدي والبلاغي عند العرب، د. جابر عصفو، طبعة/ المركز الثقافي العربي، بيروت ١٩٩٢ م.
٢٤.الصورة والبناء الشعري، تأليف. محمد حسن عبد الله، طبعة/ دار المعارف، القاهرة.
٢٥.الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز للعلوي، طبعة/ المكتبة العصرية، بيروت، طبعة/ أولى ١٤٢٣هـ.
٢٦.علم البديع عند الشيخ محمد أبو موسي، كتبه. أ. د. محمود توفيق، طبعة/ مكتبة وهبة، القاهرة، طبعة أولي ١٩٩٠م.
٢٧.الفروق اللغوية لأبى هلال العسكري، تحقيق. محمد إبراهيم سليم، طبعة/ دار العلم والثقافة، القاهرة.
٢٨.المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لابن الأثير، تحقيق. محمد محي الدين، طبعة/ المكتبة العصرية، بيروت ١٩٩٥م.
٢٩.مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، تأليف. على بن محمد الهروي القاري، طبعة/ دار الفكر، بيروت، طبعة/ أولي ٢٠٠٢م.
٣٠.مشاهير علماء الأمصار وأعلام فقهاء الأقطار، تأليف. محمد بن حبان التميمي الدارمي البُستي، تحقيق. مرزوق على ابراهيم، طبعة/ دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، طبعة: أولى١٩٩١ م.
٣١.معجم تاج العروس للزبيدي، تحقيق. مجموعة من المحققين، طبعة/ دار الهداية.
٣٢.معجم تهذيب اللغة لأبي منصور الأزهري، تحقيق. محمد عوض مرعب، طبعة/ دار إحياء التراث العربي، بيروت، طبعة/ أولي ٢٠٠١م.

٣٣.معجم القاموس المحيطللفيروز آبادي، تحقيق. مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، إشراف. محمد نعيم العرقسوسي، طبعة/ مؤسسة الرسالة، بيروت، طبعة/ ثامنة ٢٠٠٥ م.

٣٤.معجم لسان العرب لابن منظور، طبعة/ دار صادر، بيروت، طبعة/ ثالثة ١٤١٤هـ.

٣٥.معجم مقاييس اللغة لابن فارس، تحقيق. عبد السلام محمد هارون، طبعة/ دار الفكر ١٩٧٩ م .

٣٦.من أسرار حروف العطف في القرآن الكريم للدكتور. محمد الأمين الخضري، طبعة/ أولى مكتبة وهبة، القاهرة ١٩٩٣م.

٣٧.من الأسرار البيانية في الكناية القرآنية، د. حمزة الدمرداش زغلول، طبعة/ المطبعة الإسلامية الحديثة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٨٨ م.

٣٨.منهاج البلغاء وسراج الأدباء لحازم القرطاجني، طبعة/ دار الغرب الإسلامي، بيروت، طبعة/ ثالثة ١٩٨٦م.

٣٩.نظرية عبد القاهر في النظم، تأليف. درويش الجندي، طبعة/ مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٦٠ م.

٤٠.نظرية عبد القاهر في النظم، تأليف. درويش الجندي، طبعة/ مكتبة نهضة مصر بالفجالة، القاهرة، طبعة/ أولى ١٩٦٠ م.

٤١.وحي الرسالة للأستاذ. أحمد حسن الزيات، طبعة/ دار الثقافة، بيروت، طبعة/ عاشرة ١٩٨٠م.

٤٢.الهجاء الجاهلي صوره وأساليبه الفنية، د. عباس بيومي عجلان،طبعة/ مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية. ١٩٨٥م.

فهرس الموضوعات

م	الموضـوع	الصفحة
١-	ملخص	١٠٧٦
٢-	Abstract	١٠٧٧
٣-	المقدمة:	١٠٧٨
٤-	التمهيد	١٠٨٢
٥-	المبحث الأول : أسلوب الاستفهاموأثره في المعنى	١٠٨٦
٦-	المبحث الثاني: أساليب معاقد الجمل وأثرها في المعنى	١٠٩١
٧-	المبحث الثالث: أساليب التأثير وأثرها في المعنى	١١٠٤
٨-	الخاتمة	١١١٩
٩-	فهرس المصادر والمراجع	١١٢٣
١٠-	فهرس الموضوعات	١١٢٧